
روايات مصرية للجيب
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
٣٦
العميل الهارب

موضوع هذه السلسلة

فى أحد المواقع الهادئة التى تطل على نيل مصر الساحر يقوم المبنى رقم ١٩ ، وهو مبنى مكوَّن من أربعة طوابق ، تحيط به حديقة جميلة واسعة ، ومكان لانتظار السيارات ، ومحاط بسور عالٍ تحفه أشجار النخيل التى تحجبه عن الأنظار ، كما أن أبوابه الحديدية لا تفتح إلا إليكترونيًا بواسطة بطاقة خاصة ورقم سرى لا يعرفه إلا العاملون به .

فى داخل هذا المبنى الهادئ المنعزل ، والذى يلفه السكون والغموض ، توجد (إدارة العمليات الخاصة) أو رجال (المكتب رقم ١٩) كما يطلقون عليهم فى إدارة مباحث أمن الدولة ، وهى الإدارة التى يتبعونها .. وهم مجموعة من أكفأ الضباط الحاصلين على أعلى مستوى من التدريب والإعداد ، الذى يمكن أن يحصل عليه رجال المخابرات والمباحث فى العالم كله ، من فنون قتالية ومهارة فى استخدام السلاح ، والتدريب الجيد على استخدام وسائل التكنولوجيا ، كما أنه لا يختار لهذه الإدارة إلا من كان على أعلى مستوى من الذكاء والاستعداد الدائم للقيام بالمهام الانتحارية والعمليات الصعبة . وعلى الجملة فإن هذا المكتب هو وحدة من (الكوماندوز) لا يسند إليه إلا نوعيات خاصة من الجرائم التى تتسم بطابع شديد الخطورة

والخصوصية ، وذلك كما هو واضح من اسمه (إدارة العمليات الخاصة) . وهو يضم ــ إلى جانب الضباط الذين يكلفون هذه المهام ــ عددًا من العلماء والخبراء فى التدريب والأجهزة العلمية المستحدثة ، لمجابهة الأساليب العلمية المتقدمة فى المجال الإجرامى .

ويرأس هذه الإدارة اللواء (مراد حمدى) ، وهو رجل معروف فى الأوساط الأمنية بصلابته ، وبأنه لا يؤمن فى مجال عمله بكلمة المستحيل .

كما أن من أبرز رجال هذه الإدارة أيضًا ــ وهو الذى تدور حوله موضوع مغامرات هذه السلسلة ــ المقدم (ممدوح عبد الوهاب) ، وهو رجل ذو ذكاء حاد ولياقة عالية ، ولا يهاب الموت ؛ لأنه يعتبره صديقًا دائمًا له فى كل مهمة تسند إليه .

ومن داخل هذا المبنى سيكون لقاؤنا المستمر بهذه السلسلة من (المغامرات البوليسية الرائعة) ، ومع بطل هذه المغامرات المقدم (ممدوح) الضابط بإدارة العمليات الخاصة أو المكتب رقم ١٩

سنعيش أحداثها التى تفوق الخيال ، مترقبين فى كل لقاء مغامرة جديدة وأحداثًا مثيرة .

المؤلف

١ ــ عميل المخابرات ..

أظلمت صالة عرض سينمائى خاصة ، وسقط الضوء من آلة العرض ، فوق شاشة بيضاء ، ليلقى مجموعة من الصور الثابتة المتتالية ، كان القاسم المشترك بينها هو ذلك الرجل المتوسط القامة ، القوىّ البنيان ، القصير الشعر ، الذى يرتدى منظارًا طبيًّا ، والذى يبدو فى لقطات مختلفة ، وبصحبة أشخاص مختلفين ..

وغمغم أحد الجالسين فى صالة العرض الخاصة :

ــ إنه (إيلى إيزاك) ، ولكنه يبدو ....

قاطعه صوت خشن حاد :

ــ هذا هو الاسم الذى كنا نعرفه به ، أما اسمه الحقيقى فهو (فريد عبد الكريم) ، عميل للمخابرات المصرية ، ويحمل الاسم الحركى (الصقر) .

انطلقت شهقة قوية وسط الظلام ، وهتف صوت مذهول :

ــ مستحيل !!

تجاهل صاحب الصوت الخشن الحاد ذلك التعليق الانفعالى ، وهو يستطرد :

— أمّا الذين يصاحبونه ، فهم بعض مسئولى المخابرات العامّة المصرية ، الذين حصلوا بواسطته ، طوال خمسة أعوام كاملة ، على أدقّ أسرار ومعلومات نشاطنا السرّىّ .

وأضيئت أنوار الصالة ، التى يتوسّطها رجل قصير القامة ، ذو شعر أشيب كثّ ، ووجه مكتنز ، محمرّ من شدّة الغضب ، ضغط حروف كلماته ، وهو يستطرد فى حِدّة :

— أوافقكم أن هذا مذهل ، وغير معقول ، ولكنه حدث .. حدث ؛ لأن جهاز المخابرات الأسترتانى ، الذى يفاخر دومًا بكفاءته ، ودقّته المتناهية ، لم يُجْرِ التحرّيات الكافية ، حول المهاجر التركى الأصل (إيلى إيزاك) ، الذى قدم إلى (أسترتان) منذ عشر سنوات ، ونجح فى أن يصبح أحد رجال جهاز المخابرات الأسترتانية ، خلال خمسة أعوام فقط ، والأدهى أنه كان يشغل عدة مناصب شديدة الحساسية داخل الجهاز ، مكّنته من نقل أسرارنا ، بصفة منتظمة ، إلى (القاهرة) ، ولولا ارتيابى فى وجود خائن وسط صفوفنا ، إثر فشلنا المستمر فى كل عملياتنا السرّيّة ، داخل الشرق الأوسط ، خلال الأعوام الأخيرة ، ما استطعت أبدًا كشف حقيقة الدّوْر الذى يلعبه ..

لقد جنّدت مجموعة خاصة ، غير معروفة من رجالنا ، يتبعون لى مباشرةً ، بمراجعة ملفّات وأنشطة كل من التحق بالجهاز ، طوال السنوات السبع الماضية ، ولقد أثار انتباههم كثرة سفر (إيلى إيزاك) إلى موطنه الأصلى فى (تركيا) ، فى كل عطلاته وإجازاته ، ولقد نجحوا فى تتبّعه ، ورصد مقابلاته مع رجال المخابرات المصريّة هناك ، والحصول على أدلّة تؤكّد منحه إيّاهم كل أسرارنا ، بصفة منتظمة ..

تهالك أحد الرجال الستة ، الحاضرين فى القاعة ، على مقعده ، وأخذ يجفّف العرق الغزير ، الذى سال على وجهه ، من شدة الانفعال ، على حين ظلّ صاحب الصوت يردف فى حَنَق ، وهو يدير عينيه فى وجوه الرجال السّتة فى ازدراء :

— شىء مخجل !! مخجل حقًّا !! لقد تمكّن رجل واحد من خداعكم ، طوال خمس سنوات كاملة .. إننى أتخيّل نظرات السُّخرِيَة فى عيون رجال المخابرات المصرية ، حينما يتلقّوْن أدقّ المعلومات عن نشاط مخابراتنا السرّىّ ، وهم يجلسون خلف مكاتبهم فى (القاهرة) .

حاول أحد الحاضرين أن يبدو متماسكًا ، وهو يقول :

ــ إننا نعترف بتقصيرنا يا عزيزى (ديفى) ، ولكننى أسلم ببراعة الرجل ، فقد بدا لنا دومًا مثالًا لرجل المخابرات ، الذى يحوز كل الثقة ، ولكنك أيضًا مقصِّر ، فقد كان ينبغى أن تعلن لنا كشفك الخطير هذا أمس ، قبل أن يسافر هو إلى (تركيا) .

نفث (ديفى) دُخان سيجارته فى عصبيَّة ، وألقى جسده فوق أحد المقاعد ، وهو يقول :

ــ كنت أحتاج إلى مزيد من المعلومات والأدلَّة ، حول الدَّوْر الذى يلعبه ذلك الرجل ، والتأكُّد من وجود شريك له أوَّلًا ، وكان من المحتَّم أن تسير الأمور بالنسبة له فى مجراها الطبيعى ، حتى لا يشعر بما أفعل ، وصباح اليوم فقط وضعت يدى على الحقائق كاملة .

انتفض الشخص ، الذى تهالك على مقعده منذ لحظات ، وهتف فى انفعال :

ــ سأرسل اثنين من رجالى إلى تركيا ؛ لقتله .. سأعيده إلى (القاهرة) فى تابوت .

تطلَّع إليه (ديفى) فى استخفاف ، وقال :

ــ إنك تثبت لى أن هذا الرجل لم يخدعكم من فراغ يا (رادين) .. إن بعضكم يتميَّز بغباء منقطع النظير .

احتقن وجه (رادين) ، وهمَّ بأن ينطق شيئًا ما ، إلَّا أنه لم يلبث أن ابتلع كلماته ، مع استطراد (ديفى) :

ــ الإجراء الأفضل ، والأكثر ذكاء ، هو أن تستدعيه إلى هنا لأمر عاجل ، على نحو لا يجعله يرتاب فى أمر الاستدعاء .. وما أن تطأ قدماه أرض (أسترتان) ، حتى يتم اعتقاله على الفور ، فوجوده بين أيدينا سيحقِّق أهدافنا ، ويعوِّض بعض خسائرنا ؛ إذ ينبغى أن نعلم منه أوَّلًا ماذا نقل إلى المِصريِّين من معلوماتنا ، ونستخدم معه كل وسائل التعذيب الممكنة ؛ لننتزع ما لديه من أسرار المِصريِّين ثانية .

انبرى أحد الحاضرين ، قائلًا :

ــ وماذا لو جعلنا منه عميلًا مزدوجًا ، ينقل إليهم ما نشاء فقط ، وعلى نحو يضمن لنا خداعهم ؟

أطفأ (ديفى) سيجارته ، وهو ينهض قائلًا فى حِدَّة :

ــ كلَّا .. إن شخصًا مثل (فريد عبد الكريم) لا يصلح للقيام بهذا الدور ، فمن المستحيل ترويض شخص خدم وطنه لسنوات ، فى عرين الأسد ، على خيانة ما يؤمن به ، كما أنه من المستحيل أن نخدعه بمعلومات زائفة ؛ إذ أن طول عمله بينكم سيجعله قادرًا ــ ولا شك ــ على التمييز ما بين المعلومات

الحقيقية والزائفة ، ولو تنبَّه إلى محاولتنا لخداعه ، فسنفقد الصيد ، والعملية كلها .

ثم اتجه نحو (رادين) ، الذى لم يكن قد تخلَّص من انفعاله بعد ، وقال فى لهجة آمرة :

ـ نفِّذ ما أمرتك به .. أعده إلى هنا على وجه السُّرعة ، وانتزع منه كل ما لديه ، بأيَّة وسيلة ممكنة .

واتجه نحو باب الخروج ، وهو يستطرد ، دون أن يلتفت إليهم :

ـ وبعدها سنعيده لهم فى تابوت ..

أسرع (رادين) يستوقفه ، وهو يجفِّف عرقه الغزير ، قائلًا :

ـ وماذا لو تنبَّه إلى ما تدبِّره له ، ورفض العودة إلى (أسترتان) ؟

أشعل (ديفى) سيجارة أخرى فى بطء ، كما لو كان يمنح نفسه وقتًا للتفكير ، ثم نفث دُخانها ، قائلًا :

ـ عندئذ فقط اقتله فى (اسطنبول) ، ولكن حَذارِ ، فسيكون عليك أن تقدِّم لى أدلَّة كافية ، على أن هذا كان آخر ما لديك .. فالمعلومات التى يملكها هذا الرجل بالغة الأهمية

والخطورة ، بالنسبة لأمننا القومى .. وأكرِّر .. ابذل كل ما فى طاقتك ؛ لاستعادته أوَّلًا ، وتذكَّر أنت والآخرون أنكم ستعانون مساءلةً عنيفة ، بسبب ما فعله ذلك الرجل ، وعودته إلى (أسترتان) وحْدَها قد تغفر لكم .

وغادر صالة العرض فى خطوات سريعة ، وأغلق بابها خلفه فى عُنف ، وترك نهرًا من العرق على وجوه الجميع ، وقد أدركوا أن أملهم الوحيد فى النجاة هو اقتناص الرجل ..

اقتناص (فريد عبد الكريم) ...

* * *

٢ — العميل الهارب ..

انعطفت سيَّارة زرقاء يمينًا ، لتتوقَّف فى نهاية شارع (أتاتورك) ، فى العاصمة (إسطنبول) ، وهبط منها رجل متين البنيان ، قصير الشعر ، ثبَّت منظاره الطبىّ فوق أنفه فى عناية ، وتلفَّت حوله فى حَذَر ، قبل أن يتقدَّم نحو الساحة ، التى تتوسَّطها مجموعة من التماثيل البرونزيَّة ، مختلفة الأشكال والأحجام ، فى نفس الوقت ، الذى برز فيه من شارع جانبى شخص طويل القامة ، يرتدى حُلَّة ذات لون أزرق داكن ، ويبدو فى الأربعينات من عمره ، واتجه بدوره نحو الساحة ، وتوقَّف الاثنان أمام أحد التماثيل البرونزيَّة ، يتأمَّلانه فى عناية ، قبل أن يغمغم أحدهما فى هدوء :

— مرحبًا بك فى (إسطنبول) أيها الصقر .

غمغم الآخر فى هدوء ، دون أن يلتفت إلى محدِّثه :

— مرحبًا بك يا سيِّدى .

دار الأوَّل حول قاعدة التمثال ، واقترب من الثانى مغمغمًا :

— هل من جديد ؟

أجابه الثانى :

— نعم .. لدىَّ تقرير حول نشاط عملاء (أسترتان) فى المغرب ، وهناك قائمة تضمّ أسماءهم ، ونشاطهم ، فى الصندوق السرّىّ كالمعتاد .

انفرجت أسارير الرجل ، ذى الحُلَّة الزَّرقاء ، وهو يغمغم :

— عظيم .. إنك تقوم بعمل رائع يا (فريد) ، ومن المؤسف أن الأوامر تقتضى إعادتك إلى (مصر) ، بعد ستة أشهر فقط ، فسوف يحرمنا ذلك أحد عيْن لنا ، فى قلب المخابرات الأسترتانية .

فريد :

— لماذا اقتضت الأوامر ذلك ؟.. هل ارتكبت خطأ ما ؟.

هزَّ الآخر رأسه نفيًا ، وقال :

— على العكس .. لقد أدَّيت عملك فى منتهى الدِّقة والعناية ، طوال عشر سنوات كاملة ، ولكن الكمال لله وحده ، ولا يمكن الاستمرار فى هذا الوضع إلى الأبد ، والحكمة تقتضى سحب الورقة الناجحة فى الوقت المناسب ، قبل أن تحترق ، وعليك أن تعدّ نفسك للعودة ، بعد ستة أشهر .

التقت نظراتهما للمرّة الأولى ، حينما استطرد الرجل :

ـــ وسنلتقى مرّة أخرى مساء غد ، عند جامع السلطان (أحمد) ؛ لتتلقى التعليمات الجديدة .

فريد :

ـــ ولكننى سأسافر فى التاسعة من صباح غد إلى (أسترتان) .

تطلّع إليه رفيقه فى دهشة ، مغمغمًا :

ـــ بهذه السرعة ؟!

فريد :

ـــ لقد أرسلوا إلىّ استدعاءً عاجلًا ؛ لأعود إلى (أسترتان) ، قبل الواحدة من ظهر غد .

ارتسمت أمارات القلق على وجه رفيقه ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. إنها أول مرة يلاحقونك فيها باستدعاء عاجل ، على هذا النحو .

ابتسم (فريد) ، قائلًا :

ـــ أنت تعلم أننى من الصفوة لديهم ، وربّما يحتاجون إلىّ لأمر عاجل وهام .

صمت زميله برهة ، قبل أن يقول :

ـــ كُنْ على حَذَر ، فلقد لاحظ رجالنا بعض الوجوه المألوفة ، فى الأماكن التى تتردَّد عليها فى (إسطنبول) .. ولكن اذهب الآن ، وسأتصل بك بأيَّة وسيلة ، قبل سفرك .

وما أن بارَح (فريد) المكان ، حتى أخرج ذو الحُلَّة الزّرقاء من جيبه قلمًا فضيًّا ، نزع غلافه ؛ ليكشف عن جهاز إرسال صغير ، أدناه من فمه ، وهو يقول فى صوت خافت :

ـــ من (م ـــ ٣) إلى (ص ـــ ب ـــ ٨) .. أما زال الرجل ، الذى أشرتم إليه ، يقتفى خطوات الصقر ؟

جاءه الجواب :

ـــ نعم .. لقد استقلّ سيارة صفراء ، ويستعد للانطلاق بها خلف سيّارة الصقر .

صمت الرّجل برهة ، ثم قال فى حزم :

ـــ حسنًا اقتنصوا ذلك الرجل .. وأريد معرفة نتائج استجوابه بأقصى سرعة ممكنة .

وأنهى الاتصال ، وهو يغمغم فى قلق :

ـــ يبدو أن الورقة الرابحة قد احترقت بالفعل .

* * *

توقّفت السيّارة الصفراء أمام فندق (كريستال) ، حيث



وتوقفت الكلمات فى حلقة فجأة ، وعلا الاصفرار وجهه ، حينما وقع بصره على فوهة المسدس ، التى تطل من باقة الزهور ..

ترك (فريد) سيارته ، وأسرع يرتقى درجات السُلم القصير ، المفضى إلى بهو الفندق ، وترك صاحبها مقعده ، وسار خلف فريد ، وقبل أن يصل إلى السُلَّم القصير ، اعترضه رجل يحمل سلَّة كبيرة ، تمتلئ بمختلف أنواع الزهور ، وقال وهو يمد له يده بباقة منها :

— اشتر هذه منّى أيها السيِّد الكريم ، ولن تندم أبدًا .

دفعه الرجل فى عصبيَّة ، قائلًا :

— ابتعد بزهورك اللعينة .

ولكن بائع الزهور تشبَّث به فى إلحاح ، قائلًا :

— ستسعد صديقتك للغاية بزهورى ، وسأمنحك تخفيضًا خاصًا فى ثمنها .

دفعه الرجل فى حِدَّة ، وهو يلوِّح بقبضته ، ويزمجر فى غضب :

— قلت لك ابتعد ، قبل أن أمزّقك إربًا إربًا و ....

وتوقَّفت الكلمات فى حلقه فجأة ، وعلا الاصفرار وجهه ، حينما وقع بصره على فوهة المسدَّس ، التى تطلّ من باقة الزهور ، وسمع البائع يقول فى صرامة :

— ستعود معى الآن إلى سيَّارتك فى هدوء ، وإلَّا زيَّنت هذه الزهور قبرك .

امتقع وجه الرجل ، وانصاع للأمر فى استسلام ، واتجه إلى سيَّارته ، حيث استقبله رجلان ، جلس أحدهما إلى جواره فى المقاعد الأمامية ، وجلس الآخر فى المقعد الخلفىّ ، وقال بائع الزهور الزائف فى برود :

ــ والآن ما رأيك فى نزهة قصيرة وسط الحقول الخضراء ، لعلَّها تفتح شهيتك للحديث حول سبب تعقُّبك وزملائك لنزيل فندق (كريستال) .. وحَذَارِ من الكذب ، فهو يصيبنى بعسر هضم ، يجعل أصابعى تنقبض على زِناد مسدَّسى .

ازداد شحوب الرجل ، وانطلقت السيَّارة مبتعدة عن الفندق ..

* * *

فى الوقت الذى كان فيه (فريد عبد الكريم) يتجه إلى مطار (إسطنبول) ، فى طريق العودة إلى (أسترتان) ، كان هناك عدد من الأشخاص يحُومون حول المطار ، فى انتظار إقلاع الطائرة به ؛ ليُطَمْئِنُوا أولئك الرجال ، الذين يسبحون فى بحر من القلق ، خلف مكاتبهم فى المخابرات الأُسترتانية ..

ولم يكد (فريد) يصل إلى المطار ، حتى أعترضه أحد الحمَّالين ، قائلًا فى لهفة :

ــ هل أحمل حقائبك يا سيِّدى ؟

ابتسم (فريد) قائلًا فى هدوء :

ــ إنها حقيبة واحدة فحسب ..

همس الحمَّال فى هدوء ، وهو ينحنى ليحمل الحقيبة :

ــ لا بأس .. دَعْنى أحملها أيها الصقر ، حتى يبدو الأمر طبيعيًّا على الأقل .

ترك له (فريد) الحقيبة ، وهو يجاهد ليخفى دهشته ، وهو يسأله :

ــ ماذا هناك ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

ــ لقد كشفوا حقيقتك ، وهم ينتظرون وصولك إلى (أسترتان) ؛ ليقتلوك على الفور .

شعر (فريد) بالاضطراب ، ولكنه تماسك ، وهو يغمغم :

ــ وما العمل ؟.. لا ريب أن بعضهم يراقبنى الآن ؛ ليتأكَّد من رحيلى .

أجابه الرجل ، وهو يضع الحقيبة فوق حامل معدنى خاص بالمطار :

ــ لقد أرسلنى (م ــ ٣) ؛ لمعاونتك على الإفلات منهم .. ولو نظرت أمامك ، فستجد فتاة تقترب منك ، وستصطدم بك ، وتسقط محتويات حقيبتها أرضًا ، وكل ما عليك هو أن تتظاهر بالانحناء لمعاونتها ، فى نفس اللحظة التى تتوقَّف فيها واحدة من سيَّارات الأجرة ، على بعد خطوتين منك ، وسيفتح سائقها الباب المجاور له ، وكل ما عليك هو أن تقفز داخلها ، واترك لنا مهمة إعاقة من يتعقَّبونك ، حتى تبتعد بك السيَّارة ، وسنعيد إليك حقيبتك لاحقًا .

فريد :

ــ ولكن ....

قاطعه الرجل :

ــ فيما بعد .. الفتاة قادمة .

ولم يكد يتمّ عبارته ، حتى اصطدمت الفتاة بـ(فريد) ، وتبعثرت محتويات حقيبتها أرضًا ، وهتفت فى لهجة جَزِعَة :

ــ معذرة .. لقد تأخرت عن الطائرة و ....

قاطعها (فريد) فى هدوء :

ــ لا بأس .. سأعاونك عَلَى جمع محتويات الحقيبة .

وعلى بعد خطوات ، غمغم أحد مراقبيه فى توتُّر :

ــ إنها تبدو تمثيلية سخيفة .. أراهن أنه قد شعر بالخطر ، وأظن أنه يدبِّر للفرار .

أشار زميله إلى سيَّارة الأجرة ، التى توقَّفت فجأة ، وهتف :

ــ إنه كذلك بالفعل .. أسرع .

ولكن (فريد) قفز فجأة داخل السيَّارة ، التى اندفعت فى سرعة ، فأخرج الرجل مسدَّسه ، وهمَّ بإطلاق النار عليها ، ولكن زميله صاح به :

ــ هل جُننت ؟.. إنك ستحوّلها إلى حرب علنية .

هتف الرجل فى انفعال :

ــ هل سنتركه يفرّ أمام أعيننا ؟

قال زميله فى حَنَق :

ــ سنلحق بالسيَّارة .. اتصل بالوحدة الرابعة لاسلكيًا ، واطلب منهم اعتراضها فى شارع (القسطنطينية) .

أسرع الاثنان إلى سيارتهما ، فى نفس اللحظة التى قال فيها أحد رجال المخابرات المصرية فى حزم :

ــ الآن ..

وبدأت خطَّة الإعاقة ..

* * *

٣ ــ قفص الصَّقر ..

استيقظ المقدَّم (ممدوح عبد الوهاب) فى ساعة متأخِّرة من الليل ، إثر رنين هاتفه المتواصل ، والتقط سمَّاعة الهاتف فى حَنَق ، فقد كان يَغُطّ فى نومٍ عميق ، بعد يومٍ شاقّ فى العمل ، وتدريب الضبَّاط الجدد ، وغمغم فى صوت يجمع ما بين الضيق والنُّعاس :

ــ من المتحدِّث ؟

استيقظت حواسه كلها ، حينما سمع صوت اللواء (مراد) ، عَبْر أسلاك الهاتف ، يقول :

ــ (ممدوح) .. ارتَدِ ثيابك ، واحضر إلى الإدارة فورًا .

تطلَّع (ممدوح) إلى ساعته فى دهشة ، وتساءل عن سرِّ ذلك الاستدعاء المفاجئ ، إلّا أن هذا لم يمنعه من أن يجيب فى حماس :

ــ سأحضر فورًا يا سيِّدى .

وحينما وصل إلى الإدارة ، كان الظلام يغلِّفها تمامًا ، عدا حجرة مدير العمليات الخاصة ، الذى كان يجلس فى مكتبه ، منهمكًا فى الحديث مع شخص آخر ، هبَّ لمصافحة (ممدوح) ، قائلًا :

ــ يؤسفنى أن انتزعناك من فراشك ، فى هذا الوقت المتأخِّر ، أيها المقدَّم .

ابتسم (ممدوح) ، وامتلأ صوته بالحيويَّة والنشاط ، وهو يقول :

ــ إننى مستعد دائمًا فى أيَّة لحظة من الليل أو النهار يا سيِّدى .

وضع اللواء (مراد) يده على كتف (ممدوح) ، فى امتنان وعطف أبوى ، وقدَّم إليه الشخص الآخر ، قائلًا :

ــ العميد (سامى) .. من إدارة المخابرات العامة .

صافحه (ممدوح) ، قائلًا فى احترام :

ــ مرحبًا بك يا سيادة العميد .

شدَّ العميد (سامى) على يده ، قائلًا :

ــ يسعدنى أن ألقاك أيها المقدَّم .. لقد بلغتنى أخبار بطولاتك .

ممدوح :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. ولكننى أعتقد أنه من المبالغة إطلاق اسم البطولات على واجبى .

جلس اللواء (مراد) خلف مكتبه ، وهو يبتسم قائلًا :

ــ أنت الذى يبالغ فى التواضع يا (ممدوح) .. المهم أن تستمع الآن إلى العميد (سامى) .

اعتدل العميد (سامى) ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ الأمر يتعلّق بواحد من أهم عملائنا ، يدعى (فريد عبد الكريم) وشهرته (الصقر) .

وقصَّ عليه أمر دخول (فريد) إلى (أسترتان)، بصفته مهاجرًا تركيًا، يحمل اسم (إيلى إيزاك)، وانضمامه إلى المخابرات الأسترتانية، حتى وصل بالقصة إلى لحظة فرار (فريد) من مطار (إسطنبول)، واستطرد فى انفعال :

ــ ولقد ساعدنا بعض الأتراك ، الذين يعملون لحسابنا ، على إخفائه فى مكان مجهول ، فى (إسطنبول) ، وهو ما زال يختبئ هناك .

أضاف اللواء (مراد) :

ــ المشكلة الآن هى كيف نعيد (فريد) إلى (مصر) سالمًا .. فعيون المخابرات (الأسترتانية) تنتشر الآن فى كل مكان فى (إسطنبول) ، ولديهم العديد من العملاء الأتراك أيضًا ، بل إن بعض عملائهم يشغلون مناصب هامّة وحسّاسة فى أجهزة الأمن التركية ، وهذا يعنى أن أيّة محاولة لإخراجه من هناك بالوسائل العادية ، أو عَبْر حدود أيّة دولة عربية متاخمة لـ(تركيا) ، سيكون محفوفًا بالعديد من المخاطر ، ما دامت قبضتهم تمتد إلى كل مكان .

قال (ممدوح) فى هدوء ، وقد أدرك بذكائه طبيعة مهمته :

ــ المطلوب إذن هو شخص يمكنه إخراجه من المصيدة ، على الرغم من كل ما يحيط بها من مخاطر وعقبات ، وأنا هذا الشخص .. أليس كذلك ؟

العميد (سامى) :

ــ بلَى .. لقد جرى استعراض لكل العاملين فى أجهزة الأمن فى (مصر) ، ووقع الاختيار عليك ، وينبغى أن تعلم أن هذه المهمة تطوُّعيّة ، وليست إجبارية ، فالخطأ ــ أى خطإ ــ سيعنى التضحية برجل قدَّم عمره لخدمة وطنه ، وضياع جهد سنوات طوال .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ يمكنك اعتبارى متطوِّعًا يا سيادة العميد ، ففضلًا عن واجبى الوطنى ، الذى يجعلنى أتشرَّف بقبول المهمة ، فأنا أهوَى مثل هذه العمليات ، التى ألتقى فيها بخصومى من رجال المخابرات الأسترتانية ، الذين أحمل لهم ذكريات قديمة عديدة .

أطلق اللواء (مراد) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ــ ألم أقل لك إنه سيرحِّب بالمهمة على الفوز ؟

نهض العميد (سامى) يصافح (ممدوح) ، قائلًا :

ـ حسنًا .. سأترك الأمر الآن للواء (مراد) .. فمنذ هذه اللحظة أصبحت العملية تخص المكتب رقم (١٩) .

شدَّ (ممدوح) على يده ، وهو يقول فى ثقة وحماس :

ـ ثِقْ يا سيِّدى أن الصقر سيعود ليرفرف بجناحيه ، خارج القفص الذى يحيطونه به .

ابتسم العميد (سامى) ، قائلًا :

ـ المهم أن يعود إلى عُشّه .

وفى هدوء غادر الحجرة ، فى حين اعتدل اللواء (مراد) ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ والآن استمع إلىَّ يا (ممدوح) .

جلس (ممدوح) أمامه فى هدوء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ـ كلِّى آذان صاغية يا سيِّدى .

* * *

تطلَّع (ممدوح) فى هدوء إلى السماء الصافية ، عَبْر نافذة الطائرة المجاورة له ، وهو فى طريقه إلى (إسطنبول) ، وهو يحاول ترتيب أفكاره ، واسترجاع تفاصيل المهمة المقبلة ، ولكن الراكب المجاور له قطع حبل أفكاره ، وهو يقول :

ـ عفوًا .. هل الأخ مصرى ؟

انتبه (ممدوح) إلى الرجل للمرَّة الأولى ، فالتفت يتطلَّع إليه بعقاله العربى ، ومنظاره الأسود ، ولحيته القصيرة ، وابتسم ابتسامة مجاملة ، وهو يجيب :

ـ هذا صحيح .. كيف عرفت ؟

ضحك الرجل ، قائلًا :

ـ ملامحك تشى بذلك .. أقدِّم لك نفسى ، (عبد الله الزيَّان) .. من السعودية .

غمغم (ممدوح) فى اقتضاب :

ـ تشرَّفنا .. أنا (ممدوح عبد الوهاب) .. صحفى .

وتحوَّل بوجهه إلى النافذة ، وكأنما يعلن عدم استعداده لمواصلة الحديث ، إلَّا أن جاره بدا غير مكتفٍ بهذا التعارف المختصر ، فعاد يسأله :

ـ ولماذا تسافر إلى (إسطنبول) ؟.. عمل أم نزهة ؟

غمغم (ممدوح) فى اقتضاب :

ـ نزهة .

عبد الله :

ـ أنا أيضًا أسافر لنفس الغرض .. فـ (إسطنبول)



انتبه (ممدوح) إلى الرجل للمرة الأولى ، فالتفت يتطلع إليه بعقاله العربى ، ومنظاره الأسود ، ولحيته القصيرة ..

مدينة رائعة ، تجمع ما بين سحر الشرق وحضارة الغرب ، ولا أخفى عليك أن هذا ليس السبب الوحيد لسفرى ، ولكننى سأشحن سيارتين حديثتين ، ابتعتهما من (ألمانيا) ، على أحد السفن التركية ، المتجهة إلى (جِدَّة) .. فلقد اشتريتهما خصيصًا لولدىَّ الحبيبين (جاسم) و (زياد) ، بمناسبة نجاحهما فى الدراسة هذا العام .

هزَّ (ممدوح) رأسه فى ضجر ، على حين تابع (عبد الله) قائلًا فى فخر :

ـ آه لو رأيتهما !! إنهما شابان رائعان ، يشبهاننى تمامًا ، ثم إنهما متفوِّقان رياضيًّا أيضًا ، وخاصة (جاسم) .. ليتك تشاهده وهو يلعب بكرة القدم .. إنه يناور ويحاور خصومه ببراعة منقطعة النظير .

انتهز (ممدوح) فرصة مرور المضيفة ، ليتشاغل عن حديث الرجل ، وهو يقول لها :

ـ عصير برتقال من فضلك .

التفت إليها (عبد الله) ، قائلًا :

ـ وقهوة سادة لى .

ثم عاد يواصل حديثه مع (ممدوح) ، قائلًا :

— إننى فى الواقع لا أستسيغ تلك القهوة السريعة ، التى يعدُّونها فى الطائرات ، فلا شىء يعادل القهوة السعودية .. قد تبدو لك مُرَّة المذاق ، ولكن نكهتها الرائعة تجعلك تدمنها و ....

قاطعه (ممدوح) فى ضجر ، محاولًا التخلُّص من حديثه :

— أعتقد أننى سأغفو قليلًا ، فأنا أشعر بالإرهاق و ....

قاطعه جاره فى حماس :

— لا شىء يقضى على الإرهاق مثل الأحاديث المسلِّية ، وأنا أملك قدرًا كبيرًا منها ، فأنا شهير بأننى متحدِّث لبق ، أجتذب السامعين دومًا .

وقهقه فى فخر ، على حين شعر (ممدوح) بحَنَق شديد ، وبدا له أن قفص (إسطنبول) خير من هذا الرجل ، الذى واصل ثرثرته ، ولم يستمع إلى (ممدوح) ، وهو يغمغم فى حَنَق :

— حسنًا .. إنه جزء من متاعب المهنة .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

— وأى مهنة ؟!..

* * *

٤ — السوق الشرقى ..

لم يكد (ممدوح) يغادر مطار (إسطنبول) ، حتى أسرع يلقى نفسه داخل واحدة من سيَّارات الأجرة ، ويطلب من سائقها فيما يشبه الرجاء ، توصيله إلى فندق (كريستال) ، وقد نسى ما ينتظره من مخاطر وأهوال ، أمام خشيته من الالتقاء بهذا الراكب الثرثار مرَّة أخرى ، بعد أن صدَّع رأسه بحديثه الطويل الممل طوال الرحلة ..

وعلى مسافة غير بعيدة كانت هناك سيَّارة أخرى تتبع سيارته ، سأل قائدها الرجل الذى يجاوره فى قلق :

— هل أنت واثق من أنه أحد رجال إدارة العمليات الخاصة ؟

أجابه الآخر :

— نعم .. إنه (ممدوح عبد الوهاب) .. لقد تعرَّفته فى المطار ، على الرغم من تنكُّره ، وجواز سفره الزائف .. فهذا الرجل بالذات هو موضع اهتمامى الخاص ، منذ ثلاث سنوات ، بعد نجاحه فى إفساد العديد من عملياتنا .. ولقد دبَّرت مخابراتنا

أكثر من خُطَّة لاختطافه وقتله ، ولكنها فشلت كلها ، فهو نَمِرٌ شرس ، يصعب صيده .

غمغم الذى يقود السَّيارة :

ـــ إذن فقد أرسلوه لمساعدة عميلهم على الهرب .

أومأ الآخر برأسه ، قائلًا :

ـــ بالتأكيد .. إنه الرجل الوحيد ، الذى يمكنه النجاح فى مثل هذه المهمة .

قائد السَّيارة :

ـــ إذن فهى فرصة ذهبية للإيقاع بالصقر ، فهو يعرف مكانه ولا ريب .

خرج الآخر عن هدوئه لأوَّل مرَّة ، وهو يهتف فى عصبيَّة :

ـــ فليذهب الصقر إلى الجحيم .. إنه سيقع فى أيدينا إن عاجلًا أو آجلًا .. إن الخطر الحقيقى يكمن فى (ممدوح عبد الوهاب) هذا ؛ فهو رجل من طراز غير عادى ، أثبتت تجاربنا دومًا أن تدخُّله يَعْنى فشل عملياتنا ؛ والوسيلة الوحيدة لمنعه من إفساد عملنا هذه المرَّة هى قتله .. الليلة .

اعترض قائد السَّيارة ، قائلًا :

ـــ أخالفك الرأى يا صديقى .. إن حقدك على هذا الرجل يفقدك المنطق السليم .. إنه طعم ممتاز لاصطياد الصقر .

هتف الرجل فى انفعال :

ـــ أظن أننى الرجل الذى يتولَّى هذه العملية .. أليس كذلك ؟

ابتسم الآخر قائلًا :

ـــ لا ضرورة للانفعال .. سأرسل أحد رجالنا المدرَّبين ؛ لقتله ما دمت تريد ذلك .

ابتلع الرجل قرصًا مهدئًا من زجاجة صغيرة يحملها ، وهو يغمغم فى حَنَق :

ـــ حاول أن تنجح ، مهما كان الثمن ، فلن أشعر بالراحة أبدًا ، طالما هذا الرجل فى (إسطنبول) .

وعقد حاجبيه ، وهو يردف فى غضب :

ـــ وعلى قيد الحياة .

* * *

كان (ممدوح) منهكًا فى إفراغ محتويات حقيبته ، فى حجرته بالفندق ، حينما سمع طرقًا على باب الحجرة ، فوضع يده على مقبض مسدَّسه ، المعلَّق فى جراب أسفل إبطه ، وهو يسأل :

ـــ من ؟

ـــ خدمة الفندق يا سيِّدى .

فتح (ممدوح) الباب قليلًا ، دون أن يرفع يده عن مقبض مسدَّسه ، أسفل سترته ، فوجد أمامه شابًّا ممشوق القوام ، يرتدى ثياب الفندق الخاصَّة ، ويحمل على ساعده عددًا من المناشف النظيفة ، وهو يقول بابتسامة لطيفة :

ـــ جئت لاستبدال مناشف الحمام يا سيِّدى .

ممدوح :

ـــ لا داعى لذلك .. لدىَّ منشفتى الخاصَّة .

أجابه الشابّ فى لهجة مهذَّبة :

ـــ إنها تقاليد الفندق يا سيِّدى .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. ضع المناشف النظيفة فى الحمام .

فى نفس اللحظة اتصل به مكتب الاستقبال بالفندق ، وأبلغه بوجود مكالمة خارجية له ، فأمسك سمَّاعة الهاتف ، ليسمع رجلًا يقول فى هدوء :

ـــ المقدَّم (ممدوح) .. أليس كذلك ؟

ممدوح :

ـــ من المتحدِّث ؟

أجابه صاحب الصوت :

ـــ الأغا .

كان الاسم يَعْنى الكثير لـ (ممدوح) ، فألقى نظرة سريعة على الحمَّام ، حيث كان الشابّ يضع المناشف النظيفة فى مكانها ، وهمس فى اهتمام :

ـــ يمكنك أن تتحدَّث .. أين الصقر ؟

أجابه الرجل :

ـــ حاول أن تلتقى بى فى السُّوق الشرقى بعد ساعة واحدة ، وسأرشدك إلى مكانه .

ممدوح :

ـــ وكيف سأتعرَّفك ؟

أجابه المتحدِّث فى هدوء :

ـــ لا تجعل هذا يقلقك .. سأتعرَّفك أنا .

همَّ (ممدوح) بوضع سمَّاعة الهاتف فى موضعها ، منهيًا الحديث ، لولا أن لاحت منه التفاتة إلى الشاب ، الذى انتهى من تغيير المناشف ، واقترب منه ، وهو يحمل إحدى المناشف على ساعده ويده ..

ولولا خبرته ما لاحظ (ممدوح) أن طرف المنشفة مرتفع قليلًا ، وأن الجسم الواضح خلفه هو فوَّهة مسدَّس مزوَّد بكاتم للصوت ، وأن الواقف أمامه ليس أحد خدم الفندق ، وإنما قاتل ...

قاتل محترف ..

* * *

كان ذلك القاتل من الطراز الأوَّل ، الذى لا يخطئ إصابة هدفه أبدًا ، من هذه المسافة القصيرة ، وكانت أصابعه تستعد لتنفيذ عمله القذر فى دقة وإحكام ..

لولا ما يتميَّز به (ممدوح) من ردِّ فعل سريع ..

وكالبرق الخاطف ، وبكل مايملك من قوة ، هوَى (ممدوح) بسمَّاعة الهاتف على يد القاتل المحترف ، قبل أن يضغط زِناد مسدَّسه ، فسقط المسدَّس من يد الرجل ، وهو يتأوَّه فى ألم ، فى حين استغلَّ (ممدوح) عنصر المفاجأة ؛ ليسدِّد لخصمه عدة لكمات سريعة قويَّة متتالية ، جعلته يترنَّح ، ويسقط أرضًا .

والتقط القاتل المحترف مقعدًا ، وقذفه فى وجه (ممدوح) ، الذى استقبله على ساعده ، ودفعه بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى

استلَّ فيها الرجل ، من طيَّات ثيابه ، خنجرًا ، وقفز ليطعن به (ممدوح) فى قلبه ..

وقفز (ممدوح) جانبًا ، متفاديًا طعنة الخنجر ، وأمسك معصم خصمه بحركة سريعة ، وجثا على ركبتيه ، ودفع الرجل من خلف ظهره ، وطرحه أرضًا ، ثم قفز فوقه ، ولوَى ذراعه خلف ظهره فى قوَّة ، أجبرت الرجل على التخلِّى عن خنجره ، فالتقطه (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ من حسن حظك أننى فى عجلة من أمرى ، وإلَّا لقَّنتك درسًا أكثر قسوة من هذا الدرس القصير .

والتقط المسدَّس ، وهو يبتعد مردفًا فى صرامة :

ـــ والآن .. غادر الحجرة فى هدوء ، وسأحتفظ أنا بمسدَّسك تذكارًا .

وابتسم ، وهو يستطرد فى سخرية :

ـــ ولاتنس تسليم المناشف القديمة لإدارة الفندق ..

* * *

كان ذلك الشارع ، الذى يطلقون عليه اسم (السوق الشرقى) ، ضيِّقًا مزدحمًا ، يزخر بمختلف أنواع الأطعمة والملبوسات ، والسلع الاستهلاكية ، ولقد تنقَّل (ممدوح)

بين محالّه ، منشغلًا عن البضائع بالبحث عن الرجل ، الذى سيلتقى به هناك ..

وفجأة .. احتكَّ به شخص ما ، ومال نحوه يعتذر قائلًا :

ـــ معذرة .. هل حضرت للصيد ؟

أجابه (ممدوح) فى سرعة :

ـــ نعم .. لصيد الصقور .

تلفَّت الرجل حوله فى حَذَر ، ثم همس :

ـــ اتبعنى .

سار (ممدوح) خلفه ، وسط الشارع المزدحم بالباعة والمشترين ، وشعر وكأن هذا الطريق الضيّق لا نهاية له ، وهو يشق طريقه فى صعوبة ، والزحام يعُوقه عن السير خلف الرجل مباشرةً ، وهو يجاهد حتى لا يدعه يغيب عن بصره ..

واعترض طريقه أحد الباعة الجوّالين ، محاولًا ترويج سلعته ، وحاول (ممدوح) إقناعه بعدم رغبته فى الشراء ، إلّا أن الرجل أخذ يلحّ ، ويعرض بضاعته أمامه فى إصرار ، مبالغًا فى وصف جودتها ، حتى دفعه (ممدوح) فى خشونة ، وابتعد فى خطوات سريعة ، محاولًا اللّحاق بالرجل ، ولكنه تسمَّر فجأة ، فقد كان الرجل قد اختفى وكأنما تبخَّر تمامًا ..

* * *

أخيرًا ، وبعد بحث طويل ، عثر (ممدوح) على الرجل ، ورآه يتجه نحو شارع جانبى ضيِّق ، فى نهاية السوق ، فأسرع إليه ، قائلًا :

ـــ كدت أفقد أثرك .

حدَّق الرجل فى وجهه ، وهتف فى استنكار :

ـــ من أنت ؟! .. إننى لا أعرفك ، ولم ألتق بك من قبل .

تراجع (ممدوح) فى دهشة ، أمام ذلك التحوُّل المفاجئ ، وتصوَّر لحظة أن موقف الرجل يعود إلى مبالغته فى التخفِّى ، إلّا أن الحقيقة كشفت عن نفسها فى هيئة رجلين ضخمى الجثة ، دفعاه فجأة بعيدًا عن الرجل ، وقال له أحدهما فى صوت أجش :

ـــ ألَمْ تسمع ما قاله أخى ؟.. إنه لا يعرفك ، ومن الأفضل أن تجد طريقًا آخر بعيدًا عنّا .

انتبه (ممدوح) إلى أن أحد الرجلين يتأبّط ذراع رفيقه ، والآخر يدسّ نصل سكين فى جانبه ، فاندفع محاولًا التدخُّل ؛ لحماية الرجل ، إلّا أن عربة خشبيَّة تجرُّها الجِياد ، وتحمل أكداسًا من القشّ ، ظهرت فجأة من شارع جانبى ، وحالت بينه وبين الآخرين ، وقفز أصحابها ، وفرُّوا هاربين .. فما كان منه إلّا أن قفز فوقها ، وشدَّ لجام جواديها ، لينحِّيها جانبًا ،

إلا أن عربة خشبية تجرُّها الجياد ، وتحمل أكداسًا من القش ، ظهرت فجأة من شارع جانبى ، وحالت بينه وبين الآخرين ..

ولكن كان الأوان قد فات ، إذ قفز الرجلان ومعهما صيدهما ، داخل سيَّارة سوداء ، انطلقت بهم مبتعدة ..

وشعر (ممدوح) بخطورة الموقف ، فقد فقدِ مرشده ، الذى كان من المفروض أن يقوده إلى مخبإ الصقر ، وفضلًا عن ذلك ، فوقوع هذا المرشد فى أيدى الأعداء ، يَعْنى أن الخطر قد أصبح يُحْدِق بـ (فريد) حقًّا ..

وفجأة .. وبينما كان غارقًا فى أفكاره ، انقضَّ عليه رجل ، من فوق سور قديم ، وأحاط عنقه بسلك رفيع ..

ورأى (ممدوح) الموت على قيد خطوة واحدة منه ..

* * *



٥ ــ طريق الأشباح ..

شدَّد المهاجم من ضغط السلك الرفيع على رقبة (ممدوح) ، الذى شعر بالاختناق والألم ، وخصمه يجذبه فى قوّة إلى كُومَةِ القَشّ ، التى تحملها العربة ، حتى غاص فيها الاثنان ، فيما عدا وجهيهما ، وخصم (ممدوح) يخفى وجهه بقناع من الصوف الثقيل ، لا تبدو منه سوى عينيه ، اللتين تحملان كل القسوة ، والإصرار والوحشية ، فى حين جحظت عينا (ممدوح) من فرط الألم والاختناق ..

وفجأة .. قفز شخص آخر من فوق السور ؛ ليلهب ظهر الجياد بسَوْطه ، فانطلقت العربة بعيدًا عن منطقة (السوق الشرقى) ، و (ممدوح) يناضل للتخلُّص من خصمه ، والسلك المعدنى الرفيع يغوص فى عنقه ، ويكاد يسلب الروح من جسده ..

وكان الموت يقترب فى سرعة ، ولا يفصله عن (ممدوح) سوى ثوانٍ معدودة ..

وفى محاولة أخيرة ، وإصرار على رفض فكرة الموت على هذا

النحو ، التقط (ممدوح) قدّاحته من جيبه ، وأشعلها بسرعة ، قبل أن يفطن غريمه إلى هدفه ، وألقاها خلف ظهر خصمه ، الذى فوجئ بالنيران تشتعلُ فى القش الجاف ، وتعلق بثيابه ، فتخلَّى عن السلك المعدنى ، وعن عنق (ممدوح) ، وتلاشت كل الأهداف من ذهنه ، سوى رغبته فى النجاة ، فألقى نفسه من العربة ، غير مبال بسرعة اندفاعها ..

ورأى قائد العربة رفيقه ، الذى تحوّل إلى كتلة من النيران ، ورأى (ممدوح) يهمّ بالقفز من العربة ، قبل أن تصل إليه النيران ، فراح ينهال على جسده بسَوْطه ، ويلهبه بضرباته فى غضب وثورة ، محاولًا منعه من الفرار ، ولكن (ممدوح) تحمَّل ضربات السَّوْط فى إصرار ، ووثب نحو خصمه ، وأحاط وسطه بذراعيه ، ليهوى الاثنان من العربة ، التى واصلت اندفاعها ، وقد أثارت النيران المشتعلة فى حمولتها الجوادين ، وجذبت أنظار المارَّة ، بعيدًا عن صراع (ممدوح) مع خصمه ..

وحسم (ممدوح) الصراع بلكمة ساحقة ، هوَت على فكّ خصمه كالقنبلة ، ثم جذبه إليه ، وأراد أن يجبره على الاعتراف بالمكان الذى ذهب إليه المرشد ، ولكنه لمح سيَّارات الشُّرطة تقترب فى سرعة ، ورأى جمهرة من المارة تعدُو نحوه ، وخشى أن

يفسد ذلك التدخُّل مهمته ، خاصةً وهو يعلم بوجود بعض العلاقات المشبوهة ، بين بعض رجال الشرطة التركيـــة ، والمخابرات (الأسترتانية) ، مما دفعه إلى التخلّى عن خصمه ، وركض حتى سور قصير ، لمنزل من طابق واحد ، ووثب فوقه ، وانطلق يعدو فوق أسطح المنازل المتقاربة ، حتى صار بعيدًا آمنًا ..

كانت آثار السلك المعدنى ما زالت ظاهرة على عنقه ، وبات من الواضح أنها لن تُمحى قبل مرور زمن طويل ، ولم يكن قد تخلّص تمامًا من الآلام ، التى خلّفها ضغط السلك على عنقه ، إلّا أن عقله انشغل عن كل ذلك بالمصير الذى سيئول إليه الصقر ، لو سقط بين أيدى (الأسترتانيين) ..

إنه يعرف الكثير عن وسائلهم فى استخلاص الاعترافات ، ومن المؤكّد أن المرشد التركى لن يصمد أمامهما طويلًا ، وأنه لن يلبث أن ينهار ، ويدلى إليهم بمخبأ (فريد) ، فتكون فى هذا نهاية الصقر ، الذى لن يتردّدوا فى ذبحه بلا رحمة ، متى وقع فى أيديهم .

وفجأة .. ومض شىء ما فى ذهن (ممدوح) ..

لقد تذكّر أن يده قد احتكّت بورقة صغيرة فى جيبه ، وهو يلتقط قدّاحته ..

كان من العجيب حقًّا أن تبرز تلك المعلومة البسيطة فى ذهنه ، وسط ذلك الخضمّ من الأحداث والأفكار ، ولكن الحاسّة المتفوّقة ، التى يتمتع بها ، أيقظت هذا الشعور فى ذهنه ، فأسرع يلتقط تلك الورقة من جيبه ، وفردها ؛ ليقرأ عليها عبارة تقول : « إذا ما أصابنى أى مكروه ، فاذهب إلى العنوان المدّون أسفل هذه العبارة ، وستجد ما تبحث عنه » .

وأسفل العبارة كان العنوان مدوّنًا فى وضوح مع توقيع (الأغا) ..

لقد اصطدم به المرشد بالفعل ، قبل أن يعرّفه نفسه ، ولا ريب أنه كان يتوقّع بعض المتاعب مع رجال المخابرات (الأسترتانيـــة) ، فدوّن هذا العنـــوان ، ودسّه فى جيب (ممدوح) ، زيادة فى الاحتياط ..

وعاد الأمل ينتعش فى قلب (ممدوح) ، وتساءل : هل سينجح فى الوصول إلى هذا المكان ، قبل أن يقع (فريد) فى براثن رجال المخابرات (الأسترتانية) ؟..

هل سبقوه إليه ، بعد أن أجبروا المرشد على الاعتراف ؟..

لقد بدأ السباق ، وعليه أن ينطلق بأقصى سرعة .. من أجل الصقر ..

* * *

أوقف سائق سيارة الأجرة سيارته ، عند مدخل طريق غير ممهَّد ، تمتد أمامه ساحة كبيرة من المستنقعات الطينية ، والأخشاب ، وقال لـ (ممدوح) :

ــ تستطيع أن تكمل الطريق وحدك لو أردت ، فالمنزل الذى تقصده يقع على بعد ثمانين مترًا من هنا ، فلست أرغب فى المضىّ فى طريق الأشباح هذا .

نقده (ممدوح) أجره ، وهو يقول :

ــ شكرًا لك ، يمكنك أن تعود ، وتتركنى للأشباح .

عاد الرجل أدراجه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ لا ريب أنه مجنون ، حتى يبقى فى مكان كهذا وحده !

أما (ممدوح) فقد سار فى هذا الطريق المظلم الموحش ، حتى بلغ منزلًا قديمًا ، محاطًا بأسوار عالية ، وأشجار بريّة ، وتوقَّف أمام بوَّابته الضخمة ، التى تركها بعضهم شبه مفتوحة ، وكأنما تركها من أجله بالذات ، مما جعله يُوقن من أنه يسير نحو كمين معدّ له بالداخل ، فتحسَّس مسدَّسه فى جرابه ، وعدَّل رباط عنقه فى عناية ، وكأنما هو فى طريقه إلى سهرة فاخرة ، ودفع البوَّابة الحديدية ، واجتازها فى هدوء إلى حديقة المنزل ، وتقدَّم فوق أرضها الجرداء ، وبين أشجارها الذابلة فى حذر المحترف ،

وإصرار الانتحارى ، واختفى خلف إحدى الأشجار ، يرقب ذلك المنزل القديم ، الذى بدا بطرازه العتيق منسجمًا مع المنطقة الموحشة المحيطة به ..

وطاف (ممدوح) بالفناء المحيط بالمنزل فى حَذَر ، وهو يتحسَّس طريقه فى الظلام ، حتى عثر على دَرَج ، ارتقاه فى خفَّة وسرعة ، دون أن يصدر عنه أدنى صوت ، حتى وصل إلى باب صغير ، تركه بعضهم نصف مفتوح أيضًا ..

وفى هدوء .. دفع (ممدوح) ذلك الباب ، ولكن الصَّرير الذى أحدثته مفصَّلات الباب القديمة ، حطَّم ذلك الهدوء ، ووجد (ممدوح) نفسه فى رَدهة صغيرة ، يتصدَّرها سُلَّم آخر ، ارتقاه (ممدوح) فى سرعة وحَذَر ، فألفى نفسه فى شرفة كبيرة مستديرة الشكل ، تطلّ على قاعة كبيرة ، يضيئها مصباح خافت ، تطلَّع إليها فى حذر ، فرآها خالية من الأثاث تمامًا ، وعلى أرضها تمدَّد أربعة رجال خمدت حركتهم تمامًا ، وأحاطت بهم بركة من الدم تؤكِّد أنهم ضحايا مجزرة وحشية دامية ، وأن رجال المخابرات (الأسترتانية) قد سبقوه إلى عش الصقر ، واقتنصوه قبل أن يبلغه هو ، ولا ريب أنهم ينشدون عنقه الآن ، وأنهم هنا ، فى مكان ما ..

وغمغم (ممدوح) فى حَنَق :

ـ حسنًا ، فليبدأ كشف الأوراق .

وأطلق من مسدَّسه رصاصة محكمة ، أغرقت المكان فى ظلام دامس ، بعد أن حطَّمت المصباح الخافت ..

وبدأت مواجهة الذئاب ..

* * *



٦ ـ مواجهة الذِّئاب ..

فيمـــا عدا دوىّ رصاصة (ممدوح) ، وصوت تهشُّم المصباح ، فقد ظلَّ السكون يُخيِّم على المكان ، مختلطًا بالظلام ، وبدا وكأن الذِّئاب ترفض مغادرة أوكارها ، أو لم تستعد لذلك بعد ..

وخامرت (ممدوح) رغبة قويَّة فى تحطيم هذا السكون المُطْبَق ، وإثارة الذِّئاب ، فتناول المقعد الوحيد فى الشُّرفة ، وألقى به وسط القاعة .. ولم يكد دوىّ ارتطام المقعد بالأرض يرتفع ، حتى أضاء مصباحان قويَّان فى موقع سقوطه ، وانهالت عليه الرصاصات ، وقد ظنَّ الذئاب أن (ممدوح) قد قفز إلى وسط القاعة ..

وفى سرعة أطلق (ممدوح) رصاصاته على المصباحين ، وحولهما ، وتهشَّم زجاجهما بدوىٍّ هائل ، امتزج بصيحة ألم ، وصوت سقوط جسم على الأرض ، وسمع (ممدوح) صوت أقدام تهرْوِل مبتعدة ، فصوَّب فُوَّهة مسدَّسه نحو الصوت ،

معتمدًا على سمعه المرهف ، وحاسَّته السادسة ، ولكن الضوء سطع فى الشرفة فجأة ، وسمع (ممدوح) صوتًا من خلفه يقول :

ـــ ألقِ مسدَّسك أرضًا ، وَدَعْنى أرَى ذراعيك فوق رأسك أيها المقدَّم ..

كانت مفاجأة حقيقية ، إلَّا أن (ممدوح) ظلَّ متماسكًا ، وألقى مسدَّسه ، وهو يستدير لمواجهة خصمه فى هدوء ، فرأى فى مواجهته رجلين ، أحدهما قصير ، تحمل وجنته ندبه قديمة ، له عينان باردتان ، نصف مغلقتين كعينى التمساح ، والآخر طويل نحيل ، تلُوح القسوة واضحة فى مُحيَّاه ، على الرغم من اصفراره وهزاله .. وأدرك (ممدوح) ـــ من النظرة الأولى ـــ أن القصير هو صاحب الأمر ، فقد كانت عيناه تشفَّان عن التصميم وروح القيادة ، فى حين بدا الآخر من ذلك الطراز ، الذى يصلح لتنفيذ الأوامر فحسب ، ولم يلبث استنتاجه هذا أن أعلن صحته ، حينما قال القصير للنحيل فى لهجة آمره :

ـــ فتِّشه جيِّدًا .

أعاد النحيل مسدَّسه إلى جرابه ، وهمَّ بالتوجُّه إلى (ممدوح) ، إلَّا أن القصير استدرك فى سرعة :

ـــ كلَّا .. أعطنى مسدَّسك ، فلدىَّ تعليمات مشدَّدة

بعدم الاقتراب من ذلك الرجل بأى سلاح ، فقد يقلب الموقف ضدنا .

أطاع النحيل الأمر فى استسلام ، واتجه إلى (ممدوح) ، وأخذ يفتِّشه بعناية فائقة ، حتى خُيِّل لـ (ممدوح) أنه سيبحث عن أيَّة أسلحة مختفية تحت جلده ، إلى أن تحوَّل إلى القصير ، وقال :

ـــ إنه لا يحمل أيَّة أسلحة أخرى .

ثم تراجع إلى موقعه الأول ، على حين قال القصير ، وهو يصوِّب سلاحه إلى (ممدوح) :

ـــ والآن أيها المقدَّم .. إن لدىَّ أوامر مشدَّدة بإطلاق عدة رصاصات على قلبك مباشرة .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يقول فى ثبات يثير الدهشة والإعجاب :

ـــ من الواضح أنك من ذلك النوع الروتينى ، الذى ينفِّذ التعليمات الصادرة إليه بحذافيرها .. ولكن بعد تأكُّدك من أننى لا أحمل أيَّة أسلحة ، هل تسمح لى بتسوية ثيابى ، فأنا لا أطيق مفارقة الحياة فى هيئة رثَّة .

انفرجت شفتا القصير عن نصف ابتسامة ، أبرزت أسنانه القذرة ، غير المنتظمة ، وزادت ملامحه بشاعة ، وهو يقول :

ـ إنك تروق لى أيها المقدّم ؛ لذا فسأخالف التعليمات ، وأمنحك ثانيتين فقط تهندم فيهما مظهرك ، لتستقبل الموت أنيقًا كما ترغب ، ولكننى سأختصرهما إلى جزء من الثانية ، لو لمست جيوبك ، على الرغم من خلوّهما من الأسلحة .

واتسعت ابتسامته فى سخرية ، وهو يستطرد :

ـ وإن كنت أرى عدم جدوى الأناقة ، مادام الـدم سيلوّث الثياب .

ظلّ (ممدوح) محتفظًا بابتسامته ، وهو يقول :

ـ ستطمئن نفسى إلى أننى لم أهمل أناقتى طيلة عمرى على الأقل .

وفى هدوء ، أخذ يعدّل من رباط عنقه ، ويشدّ أكمامه ، كما لوكان مقبلًا على موعد غرامى ، وليس على موت محتوم ، وفى هدوء رفع كفّه إلى الدبّوس الذهبى الأنيق ، الذى يزيّن رباط عنقه ، كما لو كان سيعدّل من وضعه ، ولكن سبّابته ضغطت زرًّا دقيقًا فى الدبّوس ، فانطلق منه شىء أشبه بومضة برق ، قبل أن يدرك القصير ما تعنيه ، شعر بلسان من النار يخترق قلبه ، ويحترق داخله ، فجحظت عيناه فى ألم ورعب ، وأدرك لجزء من الثانية طبيعية تلك الأشعة القاتلة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ..

واتسعت عينا النخيل فى ذهول ، واختفت القسوة من ملامحه ، مع ذلك الرُّعب الذى ملأ كيانه ، ومع ندمه الشديد على تخلّيه عن سلاحه للقصير ، فقد انقضّ عليه (ممدوح) كالصاعقة ، ولكمه فى معدته ، وركله فى ساقه ، ثم حمله فى خفّة وسرعة ، وألقى به من الشرفة ، وسمع صرخته اليائسة ، قبل أن يرتطم بالأرض .. ولكن إرادة ذلك النخيل كانت فولاذية بحقّ ، فعلى الرغم من عنف السقوط ، إلّا أنه أخذ يزحف أرضًا فى صعوبة ، محاولًا الوصول إلى البندقية الآلية ، التى تخلّفت عن مصرع الرجل ، الذى قتله (ممدوح) فى بداية الصراع ، وقبل أن تحيط قبضته بها ، أرداه (ممدوح) قتيلًا برصاصة من مسدّسه ، ثم اعتدل فى هدوء ، وأخذ يعدّل من رباط عنقه ، والتفت إلى جثة القصير ، قائلًا :

ـ هذه هى نتيجة عدم الالتزام بالتعليمات أيها الحقير ، كان ينبغى أن تطلق النار على ظهرى مباشرة ، بدلًا من هذا الاستعراض ، وكنت ستحصل على وسام الشجاعة .

خُيّل إليه أنه يسمع أنينًا من القاعة ، فتطلّع إلى أسفل ، ليرى رجلًا يزحف فى ألم ، فقفز من الشُّرفة إلى القاعة ، وأسرع إليه ..



فقد انقضّ عليه (ممدوح) كالصاعقة ، ولكمه فى معدته ، وركله فى ساقه ، ثم حمله فى خفّة وسرعة ، وألقى به من الشرفة ..

كان الرجل يناهز الخمسين من العمر ، وكانت إصابته بالغة ، ولكنه كان الوحيد الذى نجا من مذبحة (الأسترتانيين) ، وانحنى نحوه (ممدوح) ، وهو يقول :

ـ لا تخف .. سأحاول إسعافك .

غمغم الرجل فى أنين مذعور :

ـ من أنت ؟

ممدوح :

ـ المقدّم (ممدوح عبد الوهاب) ، من إدارة العمليات الخاصة المصرية .

غمغم الرجل فى تشكُّك ، والدماء تنزف من جرحه فى غزارة :

ـ ما الذى يثبت ذلك ؟

قال (ممدوح) العبارة السِّرِّيَّة فى هدوء :

ـ لقد جئت لصيد الصقور .

تنهَّد الرجل فى ارتياح ، وهمَّ بالحديث ، إلَّا أن عينيه اتسعتا فجأة فى رعب ، وصاح وهو ينظر خلف (ممدوح) :

ـ احترس :

واستدار (ممدوح) فى سرعة ، ليرى آخر (الأسترتانيين) ، وهو يصوِّب إليه بندقيته ، وأصابعه تضغط الزِّناد .

* * *

جاء رد فعل (ممدوح) سريعًا ، فائقًا ، فقد التقط خنجرًا معلقًا بحزام المصاب ، الذى يرقد أمامه ، ودار على عقبيه بسرعة البرق ، وقذف الخنجر نحو الأسترتانى ، فغاص حتى مقبضه فى قلب الرجل الذى ترنَّح ، وترك بندقيته تسقط ، ثم هوَى إلى جوارها جُثَّة هامدة ، فتنهَّد (ممدوح) ، وهو يغمغم :

ـــ يا إلهى !! .. كدت أنسى هذا الرجل ، الذى فرَّ عندما حطَّمت المصباحين .

ثم التفت إلى المصاب ، الذى يعانى سكرات الموت ، والذى تمتم فى ضعف :

ـــ الآن يمكننى أن أثق بك .. لقد كنا نخفى الصقر هنا ، ولكن الأسترتانيين وصلوا قبلك ، وقتلوا الجميع ، واصطحبوا الصقر معهم ، ولقد سمعت أحدهم يقول : إنهم سيأخذونه إلى مزرعة التبغ الجبلية ، التى يملكها (جاويد) بك ، وهو من رجال العصابات الخطرين .

ممدوح :

ـــ ألا يوجد هاتف هنا ، لاستدعاء طبيب ؛ لإسعافك ؟

غمغم الرجل بكلمات متهالكة :

ـــ لا فائدة إنها أنفاسى الأخيرة .. المهم ألا تذهب أرواحنا سُدَى .. حَذارِ أن تواجه (جاويد) وحدك ، فهو رجل شديد الخطورة ، كثير الأعوان .. اذهب أوَّلا إلى مُقْهَى (الأناضول) ، فى شارع (أتاتورك) ، واطلب مقابلة (رستم) .. إنه معروف هناك .. قل له إنك قادم من طرف الشيخ (نشأت) ، وقدِّم له هذه القلادة .. ثِق أنه سيساعدك فى مهمتك ، فهو من أخلص رجالى .

حاول الرجل أن تنتزع القلادة من عنقه ، إلَّا أن القدر لم يمهله إلَّا شهقة واحدة ، عادت بعدها روحه إلى بارئها ، فأغلق (ممدوح) جفنيه ، والتقط القلادة ، وضمَّ عليها قبضته ، وهو يقول فى حزم :

ـــ سأفعل .

* * *



٧ ــ الذراع الفولاذية ..

كان طوله يناهز المترين ، له رأس ضخم ، وشارب كثٌّ غليظ منمّق ومفتول إلى أعلى ، وبنيان ضخم قوىّ متين ..

هكذا كان (رستم) ، الذى حَدَج (ممدوح) بنظرات مستريبة ، قبل أن يسأله بصوته القوىّ الأجش :

ــ هل تسأل عنّى ؟

ممدوح :

ــ هل أنت (رستم) ؟

أجابه فى غلظة :

ــ ماذا تريد من (رستم) ؟

ممدوح :

ــ جئتك من طرف الشيخ (نشأت) .

تفرّس العملاق فى وجهه قليلًا ، قبل أن يقول فى خشونة :

ــ لست أعرف أحدًا بهذا الاسم .

أبرز (ممدوح) القلادة ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ،

فانفجرت أسارير العملاق ، وجذب أحد مقاعد المُقْهَى ، وجلس فوقه فى وضع عكسىّ . أمام مائدة (ممدوح) ، قائلًا :

ــ إننى فى خدمة الشيخ (نشأت) ؛ وأصدقائه دومًا .

قال (ممدوح) فى بطء :

ــ لقد قُتِلَ الشيخ (نشأت) ليلة أمس .

انقلبت سِحْنة الرجل ، وجذب (ممدوح) من ياقته ، وهو يقول فى حِدَّة واستنكار :

ــ أيّة أكذوبة هذه ؟

أجابه (ممدوح) فى هدوء :

ــ إنها الحقيقة .. لقد قُتِلَ الشيخ (نشأت) ليلة أمس ، على يد عملاء المخابرات الأسترتانية ، وبمعاونة رجل يُدْعى (جاويد) بك .

تخلّى العملاق عن ياقة (ممدوح) ، وانهار فوق مقعده باكيًا ، وهو يقول :

ــ الشيخ (نشأت) قُتِلَ !! .. يا للهول !! .. هل هذا معقول ؟!

ثم توقّف فجأة ، ليسأل (ممدوح) فى انفعال :

ــ ولكن ما علاقة (جاويد) بك بالمخابرات الأسترتانية ؟

ممدوح :

ـــ إنه يتعاون معهم ، كما كان الشيخ (نشأت) يتعاون معنا ، مع فارق أن (جاويد) من أكبر تجَّار المخدِّرات ، والشيخ (نشأت) كان رجل خير وبر .

تهدَّل كتفا (رستم) العريضتين ، وهو يقول فى حزن :

ـــ لقد كنت أحد الذين امتدَّ إليهم خير الشيخ (نشأت) .. لقد تعهَّدنى برعايته ، بعد خروجى شريدًا ضائعًا من السجن .

ممدوح :

ـــ هل دخلت السجن ؟

رستم :

ـــ نعم .. لقد كنت أعمل فى خدمة (جاويد) بك ، ووقعت فى قبضة الشُّرطة فى أثناء إحدى عمليات التهريب ، ولقد تخلَّى عنِّى (جاويد) ـــ حينذاك ـــ واعتبرنى مجرَّد ورقة محترقة ، أما الشيخ (نشأت) ، فقد تعهَّدأسرتى برعايته ، فى أثناء إقامتى بالسجن ، وحتَّى بعد خروجى منه ، وأنا أدين له بحياتى كلِّها .

ممدوح :

ـــ لقد أخبرنى قبل موته (رحمه الله) أنه يمكننى الاعتماد عليك ؛ للوصول إلى (جاويد) بك ، فى مزرعته الجبلية .

رستم :

ـــ ولماذا تريد الذهاب إلى هناك ؟

ممدوح :

ـــ لقد خطف الأسترتانيون أحد رجال المخابرات المصرية ، وأخفوه هناك ، تمهيدًا لنقله إلى دولتهم ، ومهمَّتى هى أن أحول بينهم وبين ذلك .

رستم :

ـــ يمكنك الاعتماد علىَّ تمامًا .. متى تحبَّ أن تذهب ؟

ممدوح :

ـــ الليلة لو أمكن .. فكلما أسرعنا كانت فرصتنا أفضل ..

ارتسمت الصرامة فى وجه (رستم) ، وأطلَّت من عينيه ، وهو يقول فى غضب :

ـــ نعم .. الليلة .. الليلة أنتقم للشيخ (نشأت) .

* * *

ارتقى (ممدوح) و (رستم) التلال الخضراء ، فى طريقهما إلى مزرعة (جاويد) بك ، وعندما صارا على مسافة قريبة منها ، قال (رستم) :

ـ المزرعة هناك ، فى باطن الجبل ، خلف ذلك التل ، وهناك رجلان مسلَّحان يربضان فوق التلّ دومًا ؛ لمراقبة الطريق والتلال المحيطة بالمزرعة ، وحراستها .

وضع (ممدوح) منظاره المقرَّب فوق عينيه ، وقال وهو يراقب تحرُّكات الرجلين من خلاله :

ـ هذا يزيد من صعوبة الأمر بالتأكيد ، فسيلمحاننا حتمًا من موقعهما هذا ، إذا ما حاولنا الاقتراب .

أجابه (رستم) فى هدوء :

ـ دَعْ هذا الأمر لى .

ثم نزع الحزام الجلدى لبندقيته الآلية من كتفه ، فاستوقفه (ممدوح) قائلًا :

ـ آخر ما أرغب فيه هو أن يشقّ دوىّ الرصاصة سكون المكان يا صديقى .

ابتسم (رستم) ، قائلًا :

ـ ومن قال إن هذا سيحدث ؟ ألم تسمع قط عن (رستم) ، بطل رمى القرص القديم ؟.. إنهم مازالوا يطلقون علىَّ اسم (الذراع الفولاذية) ، حتى بعد تلك السنوات التى قضيتها فى السجن .

ثم فتح حقيبته الجلدية السَّوداء ، وأخرج منها كرتين حديديتين ، قائلًا :

ـ إن طريقتى صامتة ، وفعَّالة .

ودون أن ينتظر جواب (ممدوح) ، أخذ يزحف بين الحشائش الخضراء ، متخذًا من الشمس الغاربة ، وزيِّه الأخضر المنسجم مع الطبيعة ، ستارًا ، حتى أصبح على مسافة عشرين مترًا من التلّ ، فانتصب فجأة ، ودار حول نفسه فى سرعة ومهارة ، وألقى واحدة من الكُرتين ، شقَّت طريقها كالبرق ، واصطدمت برأس أحد الرجلين ، وهو يستعدّ لإشعال سيجارته ، فهوَى جثة هامدة ، وقد احتبست صرخته فى حلقه ، وأسرع إليه زميله فى دهشة ، ولكن الكُرَة الثانية ارتطمت بصدغه ، فسقط إلى جوار رفيقه بلا حراك ..

وبرز (ممدوح) من مكمنه ، وأسرع نحو (رستم) ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـ رائع يا صديقى .. لقد حطَّمت الرقم القياسىّ .

أجابه (رستم) ، وهو يتناول بندقيته الآلية :

ـ لقد شحَذ سخطى على مصرع الشيخ (نشأت) غضبى ، فجاء أدائى معبِّرًا عن ذلك .



وألقى واحدة من الكرتين ، شقت طريقها كالبرق واصطدمت برأس أحد الرجلين ، وهو يستعد لإشعال سيجارته ، فهوى جثة هامدة ..

ثم أشار إلى التل ، مستطردًا :

ـــ والآن .. هيَّا نصعد ذلك التل ، قبل أن يستردّ الرجلان وعيهما .

ألقى (ممدوح) نظرة سريعة على الرجلين ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـــ لا أظن أن ذلك سيحدث سريعًا .

ثم انطلق الاثنان يَعْدُوَان نحو التلِّ ، فى طريقهما إلى مزرعة الشيطان ..

* * *

٨ ـــ مزرعة الشيطان ..

كان الليل قد أرخى أستاره ، حينما هبط الاثنان من الجانب الآخر للتلّ ، حيث تمتدّ مساحة شاسعَة من أشجار التبغ ، فى باطن الجبل ، ولمح (ممدوح) مجموعة من الرجال ، يجلسون حول نيران مشتعلة ، وهم يتسامرون ، ويدخّنون التبغ .. وتطلّع (رستم) من خلال منظاره المكبّر إلى المنزل الأنيق ، الذى فى نهاية المزرعة ، وتحيط به أسوار عالية ، وأبواب إليكترونية ، وغمغم فى سخط :

ـــ هذه هى أكبر المشاكل ، فهذه الأبواب تُفتح بوسائل معقّدة ، والأسوار مزوّدة بكاميرات تليفزيونية ، تنقل إليهم صورة كل من يقترب منها .

ممدوح :

ـــ لا عليك .. لقد تولّيت أنت أمر الحارسين ، فَدَعْ لى كل ما يتعلّق بالإليكترونيّات .

وتناول من جيب سترته الداخلىّ زجاجة متوسّطة الحجم ، لم يكد (رستم) يقرأ المدوّن على غلافها ، حتى علَت الدهشة وجهه ، فابتسم (ممدوح) ، وهو يقول :

ـــ هل يدهشك أن أحملُ فى جيبى زجاجة (شامبو) لغسيل الشعر ؟.. منذ متى لم تغسل شعرك بمثلها ؟.

هتف (رستم) فى دهشة :

ـــ منذ مولدى !

ضحك (ممدوح) ، وقال وهو يرجّ الزجاجة فى قوة :

ـــ لست أنصحك باستخدام هذا النوع على أيّة حال .

وقبل أن يفهم (رستم) ما يعنيه (ممدوح) ، رفع هذا الأخير غطاء الزجاجة ، فانطلقت منها فقّاعات غازية عجيبة الشكل ، انطلقت نحو الأسوار ، وقال (ممدوح) فى نبرة جادّة :

ـــ هذه الفقّاعات عبارة عن تركيبة كيميائية خاصّة ، ذات خواصّ مغناطيسية ، تنجذب نحو عدسات الكاميرات التليفزيونية ، وتنفجر فور ارتطامها بها ، فتحجب عنها الصُّور ، وتثبّت الصورة الأخيرة ، التى التقطتها تلك الكاميرات لنصف ساعة كاملة ، أعتقد أنها تكفى لنجتاز الأسوار .

غمغم (رستم) مشدوهًا :

— ولكن ألن يلحظوا تلك الفقّاعات ، قبل أن تصطدم بالعدسات .

ممدوح :

— اطمئن .. إنها ذات طبيعة هلاميّة غير منظورة ، ولقد رأيتها الآن فقط ؛ لأنها لم تكمل تكوينها بعد .

حكّ (رستم) رأسه ، وهو يغمغم فى حَيْرَة :

— وسائلكم عجيبة أيها المصريون !.. إننى أفضّل الوسائل الأقلّ تعقيدًا .

ألقى (ممدوح) الزجاجة الفارغة جانبًا ، وقال :

— كما يحلو لك يا صديقى ، ولكن هيَّا نبدأ ، حتى لا نضيع مزيدًا من الوقت .

وانطلق الاثنان يزحفان وسط الأعشاب وأشجار التبغ ، حتى بلغا البوّابة الرئيسية ، فوجّه (ممدوح) ساعته نحوها ، وأخذ يضغط أزرار الساعة على نحو منتظم ، مما دفع (رستم) إلى أن يسأله فى حَيْرة :

— ماذا تفعل ؟

ممدوح :

— أفسد عمل الشفرة الإليكترونية ، التى تتحكّم فى حركة البوّابة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى فُتِحَتِ البوّابة فى هدوء ، فأشار إلى (رستم) ، واندفع الاثنان عَبْرها إلى داخل المكان ، وقبل أن يبلغا المبنى الداخلىّ ، هتف صوت يحمل كل الدهشة :

— من أنتما ؟.. وكيف دخلتما إلى هنا ؟.

وعلى بعد خطوات ، برز أمامهما رجلان مسلّحان ، وفوّهتا مدفعيهما يحملان الموت ..

* * *

لم ينتظر المسلّحان طويلًا حتى يأتى الجواب ، فلم يكد أوّلهما يتمّ عبارته — السالفة الذكر — حتى قفز (ممدوح) نحوه ، وسدّد إلى وجهه ركلة قويّة عنيفة ، فى حين اندفع (رستم) نحو الآخر ، وحطّم فكّه بكعب بندقيته الآلية ، وفى براعة وإحكام .. شلّ (ممدوح) حركة خصمه ، وجرّده من سلاحه ، ثم أطاح به فى الهواء ، وحسم معركته معه بلكمة أخيرة قويّة ، فى حين قبض (رستم) على عنق غريمه فى قوّة ، وراح يضرب رأسه فى جِذْع شجرة قريبة ، حتى أفقده الوعى ، ثم أخرج من حقيبته حبلًا قويًا ، قيّد به الرجلين فى سرعة ، ووضع على فميهما شريطًا لاصقًا ، وهو يقول لـ (ممدوح) :

— هكذا نضمن العمل فى هدوء .

وأسرعا نحو المبنى ، وأخرج (رستم) من حقيبته حبلًا متينًا ، ينتهى بخطّاف قوىّ ، وهو يقول :

ــ سترى الآن أن الوسائل القديمة مازالت صالحة .

وألقى الحبل إلى أعلى ، ليتعلّق بحاجز إحدى النوافذ المفتوحة ، ثم أشار بيده على نحوٍ مسرحى ، مستطردًا :

ــ إنها طريقة غير مهذّبة ، لدخول منازل الآخرين ، ولكنها الوسيلة الوحيدة لنحتفظ برءُوسنا فوق أكتافنا .

أسرع (ممدوح) يرتقى الحبل ، وهو يغمغم :

ــ مازال أمامنا الكثير ، لنحتفظ بها فى هذا الموضع ياصديقى .

وأطلّ برأسه داخل الحجرة ، التى أوصله إليها الحبل ، ولم يكد يطمئن إلى خلوّها حتى قفز داخلها ، وتبعه (رستم) ، وقد تشبّث كل منهما ببندقيته ، تحسُّبًا للمفاجآت ، ودفع (ممدوح) باب الحجرة فى هدوء ، فوجد أمامه رَدهة طويلة ، مضاءة ببعض الأنوار الخافتة ، فسار عَبْرها فى حَذَر ، وهو يرفع مدفعه أمامه ، وأدار (رستم) وجهه ، وسار خلفه عكسيًا ، ومدفعه مصوَّب إلى الجهة الأخرى .

وفجأة .. برز شخص من حجرة جانبية ، وهو يحمل فى يده

زجاجة خمر وكأسين ، وكان من الواضح أن رؤيتهما قد أفزعته وأدهشته للغاية ، فقد فغر فاهُ ، وجحظت عيناه ، وسقطت الزجاجة ، وسقطت الكأسان من يده ، وتهشّمتا أرضًا .. وخشى (رستم) أن يثير هذا الانتباه لوجودهما ، فانقضّ على الرجل ، وهوى على رأسه بضربة قويّة ، أفقدته الوعى ، ثم واصل مع (ممدوح) سيرهما عَبْر الرَّدهة الممتدَّة ..

وفى نفس اللحظة كان (جاويد) يجلس فى بهو المنزل السفلى ، مع رجل المخابرات (الأسترتانية) ، المكلَّف اختطاف الصقر ، وإلى جوارهما أحد رجاله ، يراقب شرفة الفناء المحيط بالمنزل ، حاملًا مدفعه الرشّاش .. ولم يكد صوت الزجاج المهشّم يبلغهم ، حتى هتف رجل المخابرات الأسترتانية :

ــ ماهذا ؟

أجابه (جاويد) فى هدوء :

ــ يبدو أن (دراز) قد أفرط فى الشَّراب ، فأسقط الزجاجة كعادته .. ولكن اطمئن ، سأرسل رجلًا آخر ؛ لإحضار شرابك المفضّل .

قال (الأسترتانى) فى ضيق :

ــ دَعْكَ من هذا الآن ، لقد أنهينا كل الإجراءات ،

وسيقوم رجالى بنقل العميل المصرى ، من مزرعتك إلى الميناء اليوم .

نفث (جاويد) دُخان سيجارته ، وابتسم فى مكر ، وهو يقول :

ـــ ولكننا لم نتفق معه على الطريقة التى ستعاوننوننى بها ؛ لتهريب (الأفيون) إلى الموانى الإنجليزية يا عزيزى الكولونيل .

تطلّع (الأسترتانى) إلى ساعته فى قلق ، وهو يقول :

ـــ سنتفق على كل هذا فيما بعد ، فلست مختصًّا بمثل هذه الأمور و ....

قاطعه (جاويد) فى صرامة :

ـــ معذرة أيها الكولونيل ، لن يغادر المصرىّ مزرعتى ، قبل أن نتفق على كل التفاصيل .. حتى التعويضات التى ستدفعونها ، إذا ما فشلتم فى إدخال الشحنة إلى (إنجلترا) .

احتقن وجه الكولونيل (الأسترتانى) غضبًا ، وهو يقول فى حِدّة :

ـــ أى عبث هذا ؟.. ألا تقدّر خطورة عمليّتنا ، وأهميتها بالنسبة لأمن (أسترتان) ؟

هتف (جاويد) فى صوت أكثر حِدّة :

ـــ فلتذهب عمليتكم وأهميتها إلى الجحيم .. المهم هو عمليتى أنا ، لقد ماطلتمونى طويلاً ، على الرغم من كل الخدمات ، التى قدّمتها لكم ، ولن يبارح المصرىّ مزرعتى قبل أن نحسم هذا الأمر .

هبّ الكولونيل واقفًا فى غضب ، ولكن فوّهة مدفع حارس (جاويد) ، التى التفتت إليه ، جعلته يعاود الجلوس ، وهو يكظم غيظه ، مغمغمًا :

ـــ حسنًا .. ماذا تريد ؟

ابتسم الحارس فى سخرية ، وأدار وجهه مرّة أخرى ناحية الشُرفة ، ثم اتسعت عيناه فى دهشة ، حينما وقع بصره على (ممدوح) و (رستم) ، وهما يهبطان فى درجات السُّلَّم ، المؤدّى إلى الشُرفة ، فى حَذَر ، ودون أن ينطق بحرف واحد ، وبكل التدريبات التى تلقّاها ، أدار فوّهة مدفعه الرشّاش نحوهما ..

وأطلق النار ..

* * *

٩ ــ صراع الأشرار ..

انطلق وابل من الرصاصات نحو (ممدوح) و (رستم) ، فقفزا من فوق سياج السُّلَّم ، واحتميا بجداره ، لمواجهة هذا الهجوم ، فى حين انتفض (جاويد) والكولونيل (الأسترتانى) فى مقعديهما ، وقد ألجمتهما المفاجأة ، وحوَّل الحارس فوَّهة مِدْفعه نحو (رستم) فى شراسة ، ولكن رصاصات (ممدوح) أردته قتيلًا على الفور .. وأسرع (جاويد) يقبض على مسدَّسه ، ولكن تلك النظرة الصارمة القاسية فى عينى (ممدوح) و (رستم) جعلته يتخلَّى عنه فى بطء ، وهو يتطلَّع إلى (رستم) ، مغمغمًا فى ذهول :

ــ (رستم) ؟!.. كيف تجرؤ على اقتحام مزرعتى ، وقد كنت يومًا كلبًا من كلابى .

أجابه (رستم) فى غضب :

ــ (رستم) لم يكن يومًا كلبًا لأحد ، وحتى الكلاب تأبى أن تتزعَّمها أنت .. لقد كنت لك درعًا يتلقَّى عنك الضربات ،

والطعنات ، ولكنك سارعت بالتخلِّى عنى ، حينما احتجت إلى معاونتك ، بل قتلت الشيخ (نشأت) ، الرجل الوحيد الذى أدين له بالفضل فى هذا العالم .

جاويد :

ــ أنتما أحمقان .. صوت رصاصات حارسى سيجلب كل رجالى ، وسيسحقونكما سحقًا .

قال (ممدوح) فى صوت هادئ واثق :

ــ إنهم لن يغامروا بحياتك ، التى تتعلَّق هى وحياة شريكك على الإفراج عن المصرى ، وتسليمه لنا .

امتزج الغضب والسخرية فى وجه (جاويد) ، وهو يقول :

ــ لكم ؟!.. ومن أنت أيها البطل الهمام ؟

أجابه الكولونيل (الأسترتانى) ، وهو يرمق (ممدوح) بنظرة غاضبة ساخطة :

ــ (ممدوح عبد الوهاب) ، عميل المكتب رقم (١٩) ، وواحد من أخطر رجال الأمن فى العالم .

ارتسمت على شفتى (ممدوح) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ هل يكفيك هذا الجواب ؟.. إننى أريد (فريد) خلال ربع ساعة على الأكثر ، أو ....

قاطعه صوت (رستم) ، وهو يشير إلى الشُرفة ، صائحًا :

ــ احترس .. إنهم قادمون .

لم يكد (جاويد) يسمع هذه العبارة ، ويرى رجاله يُهْرَعُون إليه ، حتى التقط مسدَّسه ، وصاح فى غضب :

ــ أنت ميِّت أيها المقدَّم .. ميِّت .

* * *

دار (ممدوح) على عقبيه فى سرعة البرق ، وانطلقت من مسدَّسه رصاصة ، حطَّمت يد (جاويد) ، فصرخ فى ألم وَرُعب ، فى حين هبط رجلان من الطابق العلوىّ ، وصوَّبا مسدَّسيهما نحو (ممدوح) و (رستم) ، الذى صاح :

ــ احترس أيُّها المقدَّم .

واختلطت صيحته بأزيــز رصاصة ، مرقت فوق رأس (ممدوح) تمامًا ، وأخرى عَبرت بين ساقيه ، فالتفت هو و (رستم) إلى الرجلين فى سرعة ، وأمطراهما برصاصات مدفعيهما ، فسقطا مضرَّجَيْن بدمائهما ، يتدحرجان على السُّلَّم ، على حين اندفع ثلاثة رجال من حجرة جانبية ، وأطلق

أحدهم الرصاص على (رستم) ، فأصاب كتفه ، وصرع (ممدوح) أحدهم برصاصاته ، فى حين اندفع الآخر يفتح الباب أمام باقى الرجال .. فلم يجد (ممدوح) بدًّا من التراجع ، وهو يطلق رصاصاته دفاعًا عن نفسه ، فى حين أمطر (رستم) الرجال برصاص مدفعه ، وهو يصرخ فى غضب وشراسة ، وصرع ثلاثة منهم ، قبل أن يمتلئ جسده برصاصاتهم ، ويلفظ أنفاسه الأخيرة ..

ووسط كل هذا الجحيم ، أخرج الكولونيل (الأستوتانى) من جيبه جهازًا لاسلكيًّا صغيرًا ، أوصله بأعوانه ، وهو يصدر إليهم أوامره ، قائلًا :

ــ ابدءُوا فى تنفيذ العملية ، وسألحق بكم .

وتطلَّع إلى (جاويد) ، ثم استطرد فى حزم :

ــ وإذا ما اعترضكم أحد رجال (جاويد) ، فاقتلوه بلا تردُّد .. فلابدَّ من نقل العميل المصرى من هنا ، خلال عشر دقائق على الأكثر .

تحوَّل (جاويد) إليه ، وهو يهتف فى غضب :

ــ إننى أبغض هذا النوع من التلاعب ، وأكره من يحاول استغلال الأمور لصالحه .. إنك لن تفلت بصقرك أبدًا .

قال هذا وهو يستلّ خنجره ، ويشهره فى وجه الكولونيل ، الذى انتزع مسدّسه من غمده فى سرعة ، وأطلق رصاصته ، لتستقر فى رأس (جاويد) ، الذى جحظت عيناه فى شدة ، ثم هَوَى جثة هامدة ..

واستشاط رجال (جاويد) غضبًا ، حينما رأوا مصرع زعيمهم ، فتحوّلت فوّهات أسلحتهم نحو الكولونيل ، ولكن ثلاثة من أعوانه اقتحموا المكان فى تلك اللحظة ، وفاجئوا رجال (جاويد) من الخلف ، وصاحوا بهم فى صرامة :

ــ ألقوا أسلحتكم وإلّا أطلقنا عليكم النار .

ألقى رجال (جاويد) أسلحتهم فى خوف واستسلام ، وصاح الكولونيل :

ــ اقتلوا المصرى .. اقتلوه .

سأله أحد رجاله فى دهشة :

ــ أىّ مصرى ؟

تلفّت الكولونيل حوله فى ذهول ، فقد كان (ممدوح) قد اختفى ، كما لو أنه لم يكن هناك شىء أبدًا ..

* * *

نقل (الأسترتانيون) (فريد عبد الكريم) مخدّرًا ، داخل

صندوق خشبىّ ، إلى سيّارة من نوع (الجيب) ، أمام المنزل ، وتخلّصوا من رجال (جاويد) ، قبل أن تنطلق (الجيب) ، تتبعها ثلاث سيارات أخرى نحو الجبل .. ولكن البقية من رجال (جاويد) نصبوا لهم كمينًا ، فقد انهال عليهم وابل من الرصاصات ، من بين أشجار التبغ ، وهم يخترقون المزرعة ، مما أصاب سيّارتين ، وأردى أربعة من (الأسترتانيين) قتلى ، مع تبادل إطلاق النار ، واحتماء (الأسترتانيّين) بسيّاراتهم ، حتى قال أحدهم للكولونيل فى توتُّر :

ــ إنهم سيقضون علينا حتمًا ، فهم أكثر دراية بخبايا المكان .

أجابه الكولونيل فى هدوء ، وهو يبدّل خزانة مسدّسه الفارغة بأخرى محشوّة :

ــ هؤلاء الأوغاد لا يقلقوننى ، بقدر ما يقلقنى اختفاء ذلك المقدّم المصرى ، كم كنت أودّ التخلّص منه ، قبل مبارحة المكان .

حدّق الرجل فى وجهه ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ الخطر الحقيقى يكمن فى رجال (جاويد) يا سيّدى .. لقد قتلوا أربعة منّا حتى الآن .

أشار الكولونيل إلى اثنين من أتباعه ، خلف السيّارة الأخرى ، فهرعا إليه ، وهما يحتميان بالسيّارات المتلاصقة ، فقال لهما فى صرامة :

ـ هل أحضرتما قاذفتى اللّهب ؟

أجابه أحدهما فى انفعال :

ـ نعم يا سيّدى .. إنهما فى السيّارة السّوداء .

أشار فى برود إلى النقطة التى تنهمر منها الرّصاصات ، وهو يقول :

ـ أحرقا هؤلاء الأوغاد .

عاد الرجلان إلى سيّارتهما ، وسرعان ما كانت ألسنة اللهب تتصاعد من أشجار التبغ ، ورجال (جاويد) يركضون مذعورين هنا وهناك ، ورصاصات (الأسترتانيين) تحصدهم حصدًا .. وابتسم الكولونيل ابتسامة صفراء ، وهو يرى رجال (جاويد) يتساقطون كالجرذان أمام رجاله ، وقال فى سخرية :

ـ ألم أقل لكم ؟.. إن هؤلاء الأوغاد لا يستحقون القلق .

ثم أشار بكفّه فى صرامة ، مستطردًا :

ـ هيّا إلى السّيارات .. لقد تأخّرنا عن موعدنا .. لقد حان موعد إرسال (الصقر) إلى المذبح .

* * *

وسط المعركة الدامية ، التى دارت بين الجانبين ، والحريق الهائل ، الذى شبَّ فى المزرعة ، كان (ممدوح) يزحف كالفهد وسط الأعشاب الجافّة ، حتى بلغ سيّارات (الأسترتانيين) ، وانقضَّ على أحد رجالهم ، وهو يهمّ بركوب السيّارة الأخيرة ، بعد انصراف (الجيب) والسيّارات الأخرى ، وطرحه أرضًا ، وانهال عليه باللكمات ، فى نفس اللحظة التى رأى فيها زميل الأسترتانى ما حدث ، فصوّب فوّهة مدفعه الرّشّاش نحو (ممدوح) ، وانتظر فرصة سانحة ليطلق رصاصاته نحوه ، وسط الصّراع المحتدم بينه وبين زميله ، الذى كان يحول بينه وبين (ممدوح) ..

وبلكمة ساحقة أخيرة ، أنهى (ممدوح) صراعه مع خصمه ، وألقى به فوق زميله المسلّح ، وقبل أن يستردّ الثانى توازنه ويطلق نيران مدفعه الرّشاش على (ممدوح) ، كان هذا الأخير قد اختطف قاذفة اللهب ، وأطلق ألسنة الجحيم نحو الرجل ، الذى تحوّل فى لحظة إلى كتلة من اللهب ، وفاز المقدّم المصرى ..

وانطلق (ممدوح) بالسيّارة ، فى سباق مع الزمن .. من أجل (الصقر) ..

* * *

١٠ ـ الشُّحنة الآدميَّة ..

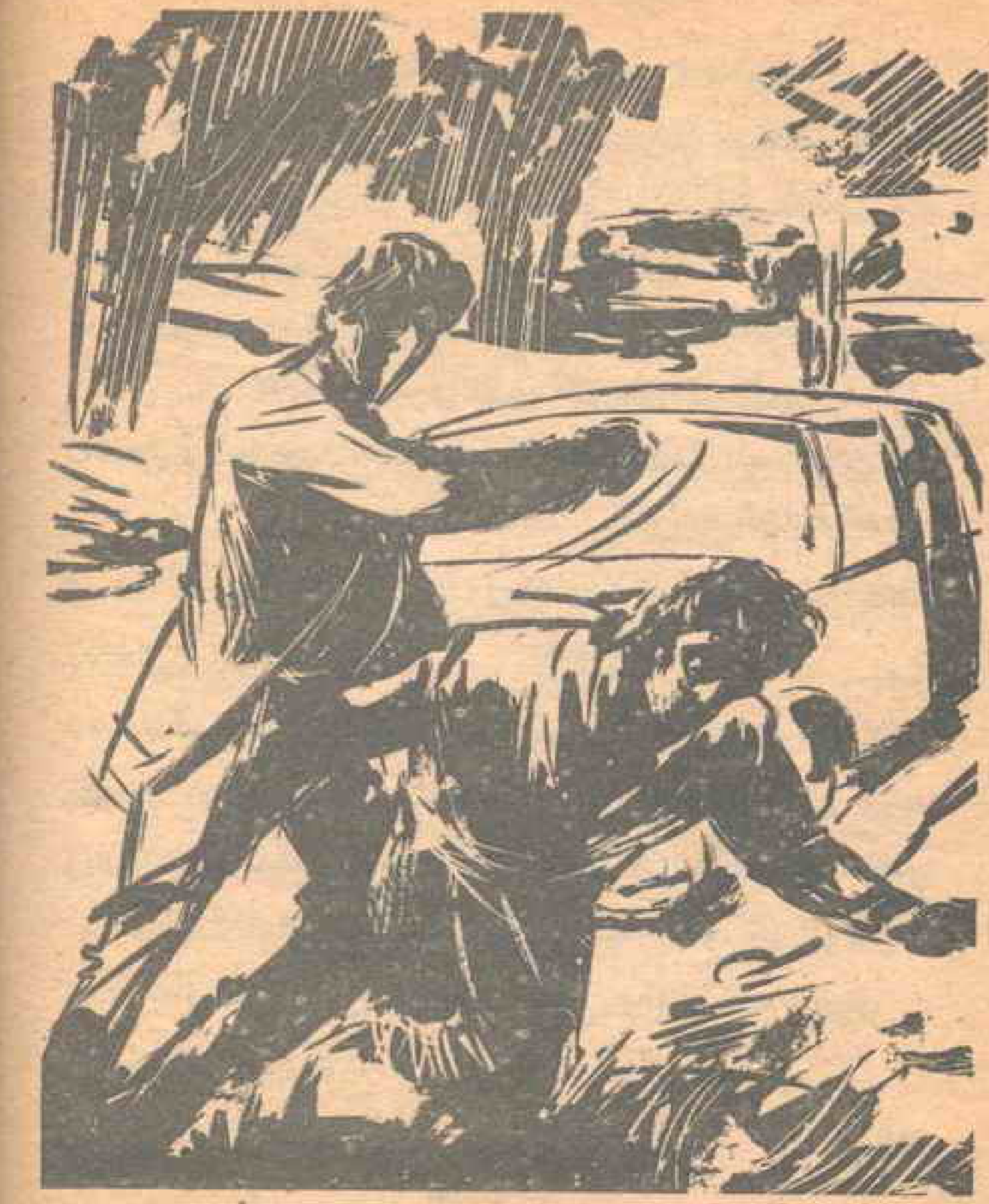
توقَّفت (الجيب) فى مكان قريب من الميناء ، وقام رجال الكولونيل بنقل الصندوق ، الذى يحوى جسد (الصقر) ، إلى سيَّارة نقل كبيرة ، تحمل عددًا من الصناديق المشابهة .. ولم ينسَ الكولونيل إضافة علامة مميَّزة إلى الصندوق ، الذى يحمل (فريد) ، وعلى مسافة غير بعيدة ، وقف (ممدوح) يراقب ما يحدث فى اهتمام ، وهو يجلس داخل السيَّارة ، التى استولى عليها من رجلى المخابرات (الأسترتانية) ، ورأى الكولونيل يشير إلى سيَّارته ، وهو يهتف محتدًّا :

ـ لماذا توقَّف هذان الغبيَّان بعيدًا ؟.. لماذا لم يلحقا بنا ؟.. ليس لدينا وقت نضيعه .

أجابه معاونه :

ـ ربَّما أصيبت السيَّارة بعطب ما .

همهم الكولونيل بعبارة ساخطة ، وصعد إلى كابينة سيَّارة النقل ، وهو يقول فى حَنَق :



وانقضَّ على أحد رجالهم ، وهو يهمّ بركوب السيارة الأخيرة ، بعد انصراف (الجيب) والسيارات الأخرى وطرحه أرضًا ..

ـــ الأمر لا يحتمل أيَّة تأخيرات أخرى ، فليلحقا بنا فيما بعد .

وأصدر أمره إلى سائق النقل بالتحرُّك ، فى حين قفز مساعده وسط الصناديق الخشبيَّة فى المقطورة ، وانطلقت بهم السيَّارة ، وتبعها (ممدوح) فى حَذَر ، حتى رآها تعبُر بوَّابة الميناء ، فأوقف سيَّارته ، وهبط منها ، واتجه إلى الميناء بدوره ، واستطاع من موقعه ، على رصيف الميناء ، أن يرقب (ونشًا) ضخمًا ، وهو ينقل الصناديق من سيَّارة النقل إلى قاعدة خشبية خاصة ، يتمّ حملها فيما بعد إلى سفينة شحن (أسترتانية) ، ترسُو أمام رصيف الميناء ، يعمل فوقها عدد من العمَّال فى همَّة ونشاط ، لرصّ الصناديق التى يحملها (الونش) ، داخل السفينة ، وغمغم (ممدوح) ، وهو يراقب ما يحدث :

ـــ لا ريب أن ترتيبات ضخمة قد اتُّخِذَتْ ؛ لتنتهى العملية على هذا النحو ، وسيتغاضى البعض ولا شك عن الإجراءات الجمركيَّة ، والتفتيش ؛ لترحل السفينة فى أسرع وقت ممكن إلى (أسترتان) ، وعلى متنها (الصقر) الذى ينتظرون قدومه هناك بفارغ الصَّبر .

وانتظر فى مكمنه حتى انتهت عملية الشحن تمامًا ، وتوجَّه الكولونيل مع مساعده إلى مكتب الأمن بالميناء ؛ لإنهاء إجراءات السفر ، وغطس فى الماء فى هدوء ، إلى جوار إحدى السفن الهولندية ، وسبح محاذرًا أن يصدر صوتًا ملفتًا ، أو يتناثر من ضربات ذراعيه الماء ، حتى لا يلفت انتباه أحد إليه ، فقد كان واثقًا من وجود حراسة مشدَّدة على متن السفينة ، لما تحمله من صيد ثمين .. وكان عليه أن يستعدّ لمواجهة ذلك ، وكل ما يحمله هو مسدَّسه المزوَّد بكاتم للصوت ، والذى يحمله داخل كيس خاص ، يحميه من الماء ، وواحدة من كرات (رستم) الفولاذية ، وقفَّازان من مادة لاصقة خاصة ، يتيحان له التعلُّق بحاجز السفينة ، والصُّعود إليها ..

ولقد استخدم هذين الأخيرين فى نجاح ، وجهد ، حتى وصل إلى سطح السفينة بالفعل ، ومن حسن حظِّه أنه قد فعل دون أن يلمحه أحد ، ولكنه لم يكد يستقر فوقه ، حتى لمح شخصًا يُوليه ظهره ، وقد استغرق فى إشعال سيجارته ، فخلع أحد قفَّازيه ، استعدادًا للانقضاض على الرجل ، إلَّا أن صوتًا قويًّا صاح من خلفه فى صرامة :

ـــ قِفْ مكانك ، وإلَّا أطلقت النار ..

* * *

كان الموقف يحتاج إلى تصرُّف حاسم ، وسريع ؛ لذا فقد دار (ممدوح) حول نفسه فى سرعة وخفَّة ، والتقط كرة (رستم) الفولاذية فى سرعة ، وألقى بها فى وجه الرجل ، الذى يهدِّده بمدفعه الرشاش ، فأصابته فى جبهته ، وأطاحت به فوق السفينة كالإعصار ، وانتبه زميله إلى الضجة التى حدثت ، فألقى سيجارته ، واستدار نحو (ممدوح) ، وهو ينتزع مسدَّسه من غِمْده .. ولكن (ممدوح) اختطف أحد أطواق النجاة ، المعلَّقة على سور السفينة ، وقذفه نحو الرجل ، الذى ارتبك لحظة ، كانت كافية لأن يلتقط (ممدوح) مسدَّسه المزوَّد بكاتم للصوت ، ويطلق رصاصته على رأس الرجل تمامًا ..

وفى سرعة وخِفَّة وصمت ، التقط (ممدوح) مسدَّس الرجل ، وألقى بالرجل نفسه فى البحر ، ثم تسلَّل بين الصناديق المتراصَّة ، بحثًا عن ذلك الذى يحمل علامة مميَّزة ، والذى يحوى (فريد) ، أو (الصقر) .

وأخيرًا .. عثر (ممدوح) على مبتغاه ، وأسرع يفتح الصندوق ، فرأى داخله (فريد) فى إعياء كامل ، ولم يكد هذا الأخير يراه ، حتى غمغم فى صوت يقاوم أثر المخدِّر :

ــ أين أنا ؟.. ومن أنت ؟

ممدوح :

ــ أنا صديق ، ولقد جئت ؛ لأنقذك من (الأسترتانيين) .

غمغم (فريد) ، وهو يرخِى جفنيه فى إعياء :

ــ صديق ؟!.. الأسترتانيون ؟!

هزَّه (ممدوح) فى قوَّة ، محاولًا إيقاظه ، وهو يقول :

ــ حاول أن تستردَّ وعيك يا صديقى .. إننا محاطان بالخطر .

فتح (فريد) عينيه فى صعوبة ، فناوله (ممدوح) المسدَّس ، الذى استولى عليه ، وهو يقول :

ــ هيَّا .. استيقظ ، وغادر هذا الصندوق اللَّعين ، وحاول أن تفيد من هذا المسدَّس ، إذا ما تأزَّمت الأمور .

ولكن (فريد) عاد يرخِى جفنيه فى إعياء ، وتراخت يده الممسكة بالمسدس ، فغمغم (ممدوح) فى حَنَق :

ــ يبدو أنه ما من فائدة .. إن المخدِّر يسيطر على عقله تمامًا .

ثم انحنى محاولًا حمله خارج الصندوق ، إلَّا أنه تسمَّر فجأة ، حينما سمع صوت الكولونيل (الأسترتانى) ، وهو يأتى من خلفه قائلًا فى صرامة :

ــ لا تحاول .

التفت (ممدوح) إلى مصدر الصوت فى حركة سريعة ، ورفع مسدسه ، ولكنه عاد يخفضه فى هدوء ، فقد كان يواجه الكولونيل ، وخمسة من رجاله بمدافعهم الرَّشَّاشة ، المصوَّبة إلى صدره ..

كان يواجه الموت نفسه ..

* * *



١١ ــ الصِّراع الأخير ..

كانت كل خلجة ، من خلجات الكولونيل (الأسترتانى) ، تشى بانتصاره وصرامته وقسوته ، وهو يقول :

ــ كنت واثقًا من أنك ستأتى لا محالة ، فلم يكن يقلقنى فى هذه العملية كلها سوى أنك قد دسست أنفك فيها ، ولكن يبدو أن هذا كان لسوء حظّك ، فموتك هذه المرَّة محتومٌ .

وقف (ممدوح) عاجزًا ، فى حين قال الكولونيل لرجاله فى لهجة آمرة صارمة :

ــ أوثقوه بالحبال ، وضعوه فى أحد الصناديق الفارغة .

سأله أحد رجاله :

ــ هل سنحمله معنا إلى (أسترتان) ، كشحنة إضافية ؟

ابتسم الكولونيل فى سخرية ، وهو يقول فى شماتة :

ــ بل سنقتله داخل ذلك الصندوق ، ونلقى به طعامًا للأسماك المفترسة .

وجلجلت ضحكته الساخرة فى الميناء كله ..

* * *

فى نفس هذه اللحظة ، وبينما كان الكولونيل يطلق ضحكته المجلجلة ، برز عدد من الضفادع البشريَّة فوق سطح الماء ، إلى جوار السفينة ، وثبَّت أحدهم على جدارها سُلَّمًا ، ينتهى بخطَّافين محاطين بإطارات مطَّاطية ، وصعد رجال الضفادع البشرية إلى سطح السفينة فى حَذَر وهدوء ، وكل منهم يحمل بندقية صيد مائية ، مزوَّدة بسهم حادّ مدبَّب ..

وفى اللحظة التى همَّ فيها رجال الكولونيل بتقييد (ممدوح) ، انطلق سهمان ، ليخترقا عنق رجلين ، فالتفت الكولونيل ورجاله إلى مصدر الضربة فى ذُعر ، وانهال عليه سيل من سهام الصيد .. أمَّا (ممدوح) فقد دفعته المفاجأة إلى التحرُّك فى سرعة ، فعاجل أقرب (الأسترتانيين) إليه بلكمة ساحقة على فكّه ، وأخرى فى معدته ، واختطف مسدَّسه ، لينضمَّ إلى الضفادع البشريَّة فى القتال ، دون أن يدرى من هم ، ولماذا جاءوا ، استنادًا إلى القاعدة التى تقول : « أعداء أعدائى هم أصدقائى » .. ودارت معركة حامية الوطيس على متن السفينة ، تبادل فيها الطرفان إطلاق النيران ، وانهالت فيها السِّهام على رجال الكولونيل ..

ووسط هذا الجحيم المستعر ، اندفع أحد الضفادع البشرية نحو (ممدوح) ، وهو يهتف فى حرارة :

ــ مرحبًا يا أخى (ممدوح) .. أخوك (عبد الله) ورفاقه فى خدمتك دائمًا .

ارتسمت الدهشة فى وجه (ممدوح) ، وهو يتطلَّع إلى وجه (عبد الله) .. الراكب السُّعودى ، الذى رافقه فى رحلته إلى (إسطنبول) ، وشعر لأوَّل مرَّة بالسعادة لرؤيته ، ولكن (عبد الله) رفع بندقية الصيد فى وجهه ، وهتف فى صرامة :

ــ مُتْ أيها الوغد ؟..

وأطلق السَّهم القاتل ..

* * *

تحرَّك (ممدوح) فى سرعة ، محاولًا تفادى السَّهم ، وأدهشه أنّ السَّهم قد مرق بعيدًا عنه ، وتجاوزه ، ليستقرَّ فى صدر أحد (الأسترتانيين) ، الذى كان يهمّ باغتياله من الخلف ، ورأى (عبد الله) يبتسم مرَّة أخرى ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لا تجعل فرحتك بلقائى تفقدك واجب الحذر يا صديقى .

انتهز أحد رجال المخابرات (الأسترتانية) فرصة الهرج والقتال ، واندفع نحو الصندوق ، الذى يحوى (الصقر) ، وصوَّب مسدَّسه إليه ، صائحًا :

ــ ألقوا أسلحتكم ، وإلَّا أرديت العميل المصرىَّ قتيلًا على الفور .

أشار (ممدوح) إلى (عبد الله) ورجاله بالتوقُّف عن مواصلة القتال ، وخامرهم جميعًا شعورٌ باليأس والعجز ، إزاء هذا الموقف ..

وفجأة .. انطلقت من داخل الصندوق رصاصة ، غاصت فى رأس (الأسترتانى) ، الذى ترنَّح لحظة فى ذهول ، ثم سقط جثة هامدة ، وقفز (فريد) من داخل الصندوق ، ممسكًا بالمسدَّس الذى تركه له (ممدوح) ، وقد زال عنه أثر المخدِّر ، وهو يهتف فى حماس :

ــ لقد خفقت أجنحة (الصقر) مرَّة أخرى .

وعادت المعركة تحتدم ، وحمى وطيسها ، وشعر الكولونيل باليأس والسخط ، وقد بدت له هزيمته حتمية ، فاندفع نحو حاجز السفينة ، يهمّ بالقفز منها ، وهو يحمل أحد أطواق النجاة ، ولكن (ممدوح) أسرع نحوه هاتفًا :

ــ إلى أين ؟.. الحفل لم ينته بعد .

تحوَّل إليه الكولونيل فى سرعة ، والحَنَق يختلط بالغضب فى ملامحه ، وأطلق نحوه رصاصة ، تفاداها (ممدوح) فى مهارة ، ثم انقضَّ عليه ، وهو يقول :

ــ إنك تفسد كل شىء كالمعتاد .

وقبض على معصمه ، ورفع فوهة مسدَّسه إلى أعلى ، ثم لفَّ ذراعه فى حركة ماهرة ، فوجد الكولونيل نفسه يدور فى الهواء ، ويسقط أرضًا ، إلَّا أنه نهض فى سرعة ، واندفع برأسه فى معدة (ممدوح) ، ثم اختطف سلسلة حديدية من أحد قوارب الإنقاذ ، وهوى بها على رأس (ممدوح) ، الذى تفاداها فى مهارة ، وتلقَّاها على كتفه ، وشعر بآلامها المبرِّحة ، التى خُيِّل له معها أن عظام كتفه قد انخلعت ، ولكنه قفز مبتعدًا فى مهارة ، وركل الكولونيل فى معدته ، قبل أن يعاود الكرَّة ، ثم أعقب ذلك بعدة لكمات قويَّة سريعة ، متعاقبة ، جعلت الرجل يرتطم بالصندوق المفتوح ، الذى كان يحوى جسد (الصقر) .. وبلكمة أخيرة أسقط (ممدوح) الكولونيل داخل الصندوق فاقد الوعى ، وزفر وهو يقول :

ــ لا أظن أن مفعول لكماتى سيختلف كثيرًا عن مفعول المخدِّر ، الذى حقنتم به (فريد) ، وأظنك ستنعم بنوم عميق ، حتى تصل إلى (أسترتان) .

وحمل غطاء الصندوق ، ليثبِّته فوقه ، إلَّا أن (فريد) التقط الغطاء ، وهو يقول ساخرًا :



ثم اختطف سلسلة حديدية من أحد قوارب الإنقاذ ، وهوى بها على رأس (ممدوح) ، الذى تفاداها فى مهارة ..

ــ اترك لى هذه المهمَّة يا صديقى ، سيرُوق لى أن أتحوَّل من مصدَّر إلى مصدَّر .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ يسعدنى أن أتنازل لك عن هذا الشَّرف يا صديقى .

وفجأة .. غمرت أضواء كشَّافات خفر السواحل سطح السفينة ، وانطلقت صفَّارات الإنذار ، فأسرع الجميع ينبطحون أرضًا ، محتمين بحاجز السفينة ، وقال (عبد الله) لـ (ممدوح) :

ــ علينا أن نزحف إلى الجهة الأخرى ، وننتظر حتى تبتعد الأضواء ، ثم نقفز إلى الماء .. فلست أطمئن إلى خفر السواحل هنا .

سأله (ممدوح) :

ــ وأين نذهب بعد ذلك ؟

عبد الله :

ــ إلى سفينة شحن سعوديَّة ، ترسُو بالقرب من هنا .

ممدوح :

ــ ولكنهم سيبادرون بتفتيش كل السفن ولا شك ، قبل مغادرتها الميناء .

عبد الله :

ــ اطمئن .. لقد حسبنا كل الاحتمالات .

التفت (فريد) إلى (عبد الله) يسأله :

ــ لا تنسَ أننا لا نملك أجهزة غَوْص مثلكم ، ولو ارتفعنا إلى السطح لاستنشاق الهواء ، فسيشعر بنا خفر السواحل .

عبد الله :

ــ سنتبادل أسطوانات الأكسجين تحت الماء .

كان الضوء يبتعد عنهم فى تلك اللحظة ، فهتف (عبد الله) :

ــ الآن .

وبسرعة قفز الجميع فى الماء ، وغاصوا فى أعماقه .. وبدأت رحلة العودة ..

* * *

كانت السَّلالم المطَّاطية تتدلَّى من سفينة الشحن السعوديَّة ، حينما وصل إليها الجميع ، فأسرعوا بتسلُّقها ، وخلعوا ملابس الغوص ، وألقوها فى البحر ، ثم اصطحب (عبد الله) (ممدوح) و (فريد) إلى جوف السفينة ، وأشار إلى السيارتين الألمانيتين الفاخرتين ، وهو يبتسم قائلاً :

ــ هل يعجبك هذا الطراز من السَّيارات يا صديقى (ممدوح) ؟

تعجَّب (ممدوح) من هذا السؤال ، الذى لا يناسب الموقف ، إلَّا أن (عبد الله) أطلق ضحكة مرحة ، وهو يستطرد :

ــ هل صدَّقت أننى قد ابتعتهما حقًّا من أجل ولدىَّ ؟! .. إننى لم أتزوَّج بعد فى الواقع ، ولكننى أحضرت السيَّارتين لحساب المخابرات السعوديَّة ، فأنا أحد رجالها .

ارتسمت الدهشة على وجهى (ممدوح) و (فريد) ، على حين استطرد (عبد الله) فى هدوء :

ــ سيحتاج الأمر إلى شرح طويل ، لا مجال له الآن ، فسرعان ما يصل رجال مباحث الميناء ؛ لتفتيش السفينة ، ويكفى أن تعلما أن مقعدى السَّيارتين الخلفيين مزوَّدان بتجويف سرِّىّ خاص ، لا يمكن كشفه أو فتحه إلا بشفرة سريَّة بالغة التعقيد .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ــ وهذا المكان معدّ لكما ، حتى نصل إلى المياه الدولية ، بإذن الله .

* * *

كان المخبأ ضيِّقًا ، ولكن (ممدوح) و (فريد) احتملاه طوال يوم كامل ، حتى أخرجهما (عبد الله) ، حينما وصلت السفينة إلى

المياه الدولية .. واصطحبهما (عبد الله) إلى مائدة عامرة ، حافلة بالأطعمة الشهيَّة ، فتناولا طعامهما فى شراهة ، وأجريا بعض التمرينات الرياضيَّة الخفيفة ، للتخلُّص من تصلُّب عضلاتهما ، بعد طول الرُّقاد فى المخبأ السِّرِّى ، وبعدها جلسا مع (عبد الله) على سطح السفينة ، يتطلَّعان إلى صفحة الماء ، فى طريقهما إلى (جدَّة) ، وقال لهما (عبد الله) :

— أنتما تعلمان بالطبع أنه هناك تعاون وثيق ، بين أجهزة الأمن والمخابرات فى معظم دول الشرق الأوسط ، بما فيها (مصر) و (السعودية) .. وحينما علمت إدارة العمليات الخاصَّة المصريَّة بأمر سفرى إلى (تركيا) ، لشحن السيَّارتين ، اتصلت بنا ، وطلبت منَّا تقديم كل معاونة ممكنة للمقدَّم (ممدوح) ، فى مهمته الخاصَّة هناك ، ويسعدنى أن نجحت مع رفاقى فى تأمين هذه المعاونة فى الوقت المناسب .

ممدوح :

— ولكن لماذا أخفيت عنِّى أمرك ، حينما التقينا فى الطائرة ؟

عبد الله :

— هكذا كانت تقتضى الأوامر .. فلقد خشينا أن يلحظ (الأسترتانيون) وجود أيَّة صلة بيننا ، فيضعونى تحت

مراقبتهم ، فأفقد قدرتى على معاونتك .. وأعتقد أننى أدين لك بالاعتذار عن تلك الأحاديث التافهة ، التى صدَّعت بها رأسك طوال الرحلة ، فقد كان هذا جزءًا من الخطَّة لإجادة التخفِّى .. وعمومًا لقد أعددنا كل شىء لتستقلَّا أوَّل طائرة إلى القاهرة ، فور وصولكما إلى (جِدَّة) .

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

— إنك تستحقُّ منَّا كل تقدير وإعجاب يا (عبد الله) .

عبد الله :

— إن دورى المحدود هذا لا يساوى شيئًا ، أمام بطولاتك يا صديقى .. ومن دواعى فخرى أننى أسهَمْت بهذا الدَّوْر المتواضع ، فى هذه المغامرة .

أغرق (فريد) فجأة فى الضحك ، فسأله (ممدوح) فى دهشة :

— ماذا يضحكك ؟

أجابه (فريد) ، وهو يواصل ضحكه :

— لقد تخيَّلت فجأة وجوه المسئولين فى المخابرات (الأسترتانية) ، حينما تعود السفينة إلى (أسترتان) ،



ابتسم (ممدوح) ، قائلًا :

ــ إنك تستحق منا كل تقدير وإعجاب يا (عبد الله) ..

ويفتحون الصندوق ، الذى من المفروض أن أكون داخله ، ليجدوا بدلًا منّى رجلهم المكلّف اختطافى .. تخيّلا !

تطلّع (ممدوح) و (عبد الله) إلى بعضهما البعض لحظة ، ثم انفجرا معا بالضحك ..

وحلّق (صقر) حرًّا طليقًا فوق السفينة ..

* * *

[تمت بحمد الله]

المؤلف



ا . شريف شوق

العميل الهارب

جاء ردّ فعل (ممدوح) سريعًا ، متفوّقًا ، فقد التقط الخنجر المعلّق فى حزام المصاب ، الذى يرقد أمامه ، ودار على عقبيه بسرعة البرق ، وقذف الخنجر نحو (الأسترتانى) ، فغاص حتّى مقبضه فى قلبه ..

٣٦

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

العدد القادم

ذراع الأخطبوط

الثمن فى مصر ٦٠ جـ وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم